اللصوصية في القوانين الكارولنجية بين القرنين الثامن والعاشر الميلاديين: دراسة تحليلية

د. خالد عبد البديع رضوان محمود
كلية الآداب، جامعة سوهاج، مصر
khaled_radwan@art.sohag.edu.eg

الملخص:

تتناول هذه الدراسة صورة اللصوصية في القوانين الكارولنجية، وكذلك في المجامع والنصوص الكنسية. وتحاول الدراسة معالجة القصور الواضح في هذه النصوص التي كانت جافة، لم توضح عوامل ظهور اللصوصية كظاهرة مجتمعية، فتتبعت الشذرات المبعثرة في الكتابات الإخبارية والهجيوجرافية والأدبية، محاولةً نسج صورة متناسقة عن اللصوص وقطاع الطرق؛ سرقاتهم، وأماكن اختبائهم، وأنواع اعتداءاتهم.

الكلمات المفتاحية: اللصوصية، القوانين الكارولنجية، الكنيسة، الغابة، العنف.

Banditry in Carolingian Laws Between the 8th and 10th centuries AD: Analytical study

Dr. Khaled Abdel-Badie Radwan Mahmoud
Faculty of Arts, Sohag University, Egypt
khaled_radwan@art.sohag.edu.eg

Abstract:

This study examines the image of banditry in Carolingian laws, as well as in councils and church texts. The study attempts to address the obvious shortcomings in these texts, which were dry and did not clarify the factors for the emergence of banditry as a social phenomenon, so it traced the scattered fragments in the historical, hagiographical, and literary writings, trying to weave a consistent picture of thieves and bandits; their thefts, their hiding places, and their aggression.

Keywords: Banditry, Carolingian laws, Church, Forest, Violence.

إشكالية الدراسة:

تعدُّ الدراسات المرتبطة بالقوانين الكارولنجية من أكثر الدراسات صعوبة، لما تلمسه هذه القوانين من تشعب واختلاف، قد يصل في بعض الأحيان إلى تضاد. وليس ذلك إلّا أن هذه القوانين قد تشكّلت بعاملين رئيسين؛ أولهما أنها تأثرت بالتشريعات المحلية للبلاد التي انضوت تحت لواء الدولة الكارولنجية، والتي تطبعت بالمؤثرات الجرمانية ذات التعددية العرقية والثقافية[1]. وثانيهما أن هذه القوانين خضعت باستمرار للتطوير والتعديل، وذلك تحت ضغط الظروف السياسية والعسكرية التي تعرضت لها الدولة الكارولنجية في النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي. وأيضا بسبب التدافع المستمر بين الدولة والإقطاع والمؤسسة الدينية، وهما طارئين قويين غلبا على أركان الدولة في القرن التاسع كذلك.

في ظل ذلك لم يكن سهلاً دراسة اللصوصية في الحقبة الكارولنجية. ورغم أن مجموعة الـ *Monumenta Germaniae Historica* (*MGH*) أحصت جميع المواد التي وردت عن اللصوص في مراسيم الحكام الكارولنجيين وقوانينهم، غير أن هذه المواد جاءت شديدة الإيجاز. كما أن اختلاف بعضها وتعارضها كما سبق الإشارة، كان أمرا مربكا ويلزمه تعليل. وقد حاولت الدراسة تعويض إيجاز هذه المواد بمراجعة النصوص الإخبارية التي قدمتها الحوليات الديرية، وهجيوجرافيا رجال الدين ورحلاتهم، والتي كانت في غاية الأهمية، لما كان يرافقها من شهادات، تناولت اللصوصية[2]. كما سعت الدراسة إلى معالجة الإرباك الذي قد يقع بسبب اختلاف المواد القانونية وتعارضها، وذلك بتتبع الفترات الزمنية التي صدر فيها القانون أو المرسوم.

والباحث لم يعثر على دراسة تتناول اللصوصية في القوانين الكارولنجية. وما جاء في الدراسات السابقة كان شروحا عامة تنطبق على العصر الحديث. يمكن رؤية ذلك في دراسة إريك هوبسبوم Hobsbawm التي تعدُّ رائدة في تناول اللصوصية، غير أن توصيفها يناسب المجتمع الأمريكي في طوره البنائي. وقد أفادت هذه الدراسة في تقديم تعريف للصوصية، غير أنها قصرت مجال نشاطها على المجتمع الزراعي، متجاهلة المؤسسة الدينية التي كانت أيضا هدفا حيويا للصوص العصور الوسطى[3]. والأمر نفسه ينطبق على دراسة مارك ستشمان

---

1 See: McKitterick, Rosamond, "Knowledge of Canon Law in the Frankish Kingdoms before 789: The Manuscript Evidence", *The Journal of Theological Studies* 36/1 (1985), pp. 97- 117; idem, *Charlemagne: The Formation of a European Identity*, Cambridge, New York: Cambridge University Press, 2008, pp.118- 127.

2 Webb, Diana, *Pilgrims and Pilgrimage in the Medieval West*, London; New York: I.B. Tauris, 2001, p. 2.

3 *Bandits*, New York: Dell Publishing Co., 1969.

Suchman، الذي قدم مبررات ذاتية محفزة لظهور اللصوصية، لا تناسب الواقع الكارولنجي[1]. وأيضا دراسة باريس مسينا Messina التي تناولت اللصوصية في شمال أفريقيا القرنين الرابع والخامس الميلاديين. ورغم أن هذه الدراسة تبعد عن موضوع البحث زمنيا ومكانيا، غير أنها أفادت في طرح العامل الأيديولوجي بوصفه محركا لظهور اللصوصية، متجاوزة الإطار التقليدي لتفسير هذه الظاهرة، الذي يعتمد على الدوافع الاقتصادية والاجتماعية[2].

اللصوصية في المجتمع الكارولنجي: اللفظ والدلالة:

أشارت القوانين والمراسيم الكارولنجية إلى اللصوص باللفظ اللاتيني *Latronibus*[3]، وهو لفظ عام يعني قاطع طريق Brigand وBandit وHighwayman، وأيضا لص ومرتزق، وبذلك لم يميز في دلالته بين سرقة وأخرى. والواضح أن نصوص الكارولنجيين التشريعية أقامت تقييمها بناء على ما تنتهي إليه السرقة، وحددت على أساس ذلك العقوبة؛ فالسطو المسلّح الذي يروع الآمنين وينتهي في كثير من الحالات إلى القتل، لا تكون عقوبته مثل السرقة التي تتم داخل العمران سرا، وبدون ضحايا.

وقد أعطى كتّاب بواكير العصور الوسطى اللصوصية معاني أوسع؛ فأعلن سالفيان المارسيلي Salvian of Marseilles (توفي قرب 492م) **أن المجتمع بأسره كان يعج باللصوص، وأن الذي يأمن على نفسه يجب أن يكون أحد هؤلاء الأشرار**[4]. واعتبر

---

1 See: "Managing Legitimacy: Strategic and Institutional Approaches", *The Academy of Management Review* 20/ 3 (Jul., 1995), pp. 571- 610.

2 See: "Bandits, Brigands and Militants: The Historical Sociology of Outlaws", *The Journal of Historical Sociology* 34/3 (2021), pp. 402- 405.

3 اشتق لفظ *Latro* من الأصل الإغريقي *Latr* أو *Lateria* أو *Latris* وتعني شخص يقدم خدمة مقابل مكافأة. ولذلك ولدت اللصوصية من رحم الارتزاق Mercenary، وانتقلت بالمعنى نفسه إلى اللاتينية. على أن روما في طورها الإمبراطوري لم تلبث أن عدلت النسق الدلالي للفظ، وجعلت منه مرادفًا للصوصية وقطع الطرق والقتل. راجع: Grunewald, Thomas, *Bandits in the Roman Empire: Myth and Reality*, Trans. J. Drinkwater, London; New York: Routledge, 2004, p. 5. وانظر الاستخدامات الأدبية للفظ في رواية الحمار الذهبي: Lucius Apuleius, *The Golden Ass*, trans. W. Adlington Cambridge: Loeb Classical Library, 1971, 1. 7, 15, 23; 3. 28; 4. 6- 22; 7. 4, 12, 13; 8. 15, 17- 18. For more details, See: Blumell, Lincoln, "Beware of Bandits! Banditry and Land Travel in the Roman Empire", *Journeys. The International Journal of Travel and Travel Writing* 8/1 (2008), pp. 1- 20.

4 *On the Government of God*, trans. E. Sanford, New York, 1930, 5: 5, p. 140 والمعلومات عن سالفيان استقيت من مراسلاته وكتابه الشهير "حكم الله". ويرجح أن منشأه كان في كولونيا **Cologne** ، وأنه عمل كاهنا في ليون، قبل أن يلحق بدير جزيرة ليرنس **Lerins** أمام سواحل مارسيليا. تميز بعقلية ناقدة، حيث أجرى في كتابه "حكم الله" مقارنة بين المسيحيين "أبناء الرب" والبرابرة الجرمان الوثنيين،

كاسيودوروس Cassiodorus(ت 585م) التاجر الجشع الذي يغالي في الأسعار بمثابة اللص، مؤكّدا أن كليهما يتشابهان في جشعهما وسعيهما إلى نهب الآخرين دون وجه حق[1].

على أن النصوص الكارولنجية –كما هو واضح– وجهت اهتمامها نحو قُطّاع الطُرق، الذين صاحبت سرقاتهم عادة حوادث عنف. وقد جاء توصيف قاطع الطريق صريحا في مرسوم للملك الميروفنجي شيلبريك Chilperic I (561– 584م) صدر بين سنتي 573– 575م على النحو التالي: "**رجل سيء يقوم بأفعال شريرة. ليس لديه مكان يقيم فيه، ولا ممتلكات تعوله. يهرب عبر الغابات، ولا يتمكن أقرباؤه، ولا الوكلاء الملكيون من إلزامه على المثول أمام الملك**"[2].

من ذلك استهوت المحدثين فكرة دراسة قُطّاع الطرق، بوصفهم عوائق جذرية في طريق المجتمعات الحديثة، وهي لا تزال في طورها البنائي. فعرفهم باريس مسينا Messina أنهم رجال تمردوا على مجتمعاتهم لأسباب اقتصادية واجتماعية، وخلقوا لأنفسهم سلطة مستقلة وأعرافا خاصة، أخرجتهم عن القوانين العامة المنصوص عليها في الدولة[3].

وهذا التعريف يتخطى التعريف القاصر لـ إريك هوبسبوم Hobsbawm الذي حصر اللصوص داخل الإطار الزراعي وحسب، فأرجعهم إلى فئة الفلاحين، وجعل غنيمتهم هي المحاصيل الزراعية[4]. وهو الأمر الذي أيدته دانيال كويل Coyle في دراستها المختصرة عن الخارجين على القانون في إنجلترا القرنين (13– 14م)، حين رهنت اللصوصية بالمجتمع

وامتدح الجرمان، وعدَّهم أفضل من المسيحيين في بعض النواحي الدنيوية. انظر: Ibid, intro

1 Variarum, in: Rerum Germanicarum medii, *MGH*, XII, lib. XI: 12, p. 341

كان كاسيودوروس (بعد 480– 575م) أحد مستشاري ثيودريك ملك القوط الشرقيين. وقد قام بنقل وترجمة العديد من كتب التراث الكلاسيكي، واستخدم الأديرة مراكزا للنسخ والترجمة. تنوعت مؤلفاته بين التاريخ والأدب واللغة، فضلاً عن عدد ضخم من المراسلات التي عكست صورة عامة عن شؤون الحكم والقوانين والمجتمع في عصره. راجع: كانتور، العصور الوسطى الباكرة، ص 109– 111؛ أيضا: O'Donnell, James, *Cassiodorus*, Berkeley: University of California Press, 1979, intro.

2 Chilperici Edictum, in: Capitularia regum Francorum I, *MGH*, c. 10, p. 10. Also: Wallace-Hadrill, John, *The Long-Haired kings, and Other Studies in Frankish History*, New York, 1962, pp. 130, 197; Goebel, Julius, *Felony and Misdemeanor: A Study in the History of Criminal Law*, Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 1976, p. 53.

3 Bandits, Brigands and Militants: The Historical Sociology of Outlaws, p. 403.

4 *Bandits*, pp. 13- 14. Cf. Slatta, Richard, "Bandits and Rural Social History: A Comment on Joseph", *Latin American Research Review* 26/1 (1991), pp. 145- 151.

الزراعي[1]. وأيده كذلك ميهاي فلورين هسن Hasan في دراسته الموجزة عن اللصوصية في مملكة المجر القرن الخامس عشر[2].

ومع ذلك فإن تقسيمة هوبسبوم للصوص إلى فئات ثلاث؛ سارق فقير ينبت في قاع المجتمع، ويصبح عديم الرحمة، وسارق شهم يأخذ من الأغنياء ليعطي الفقراء، ورجل نبيل نبذته السلطة الحاكمة، فتحول إلى قاطع طريق، لهو أمر جدير بالاعتبار[3]. فاللصوصية وسط مجتمعات إقطاعية كانت تعجُّ بمظاهر الظلم، بدت أحيانا أمرا محببا؛ حيث تعدى اللصوص داخل هذا الإطار حد الإيذاء والشر إلى كونهم أبطالاً يثأرون للعامة من الإقطاعيين العتاه الباطشين. وقد تصاعد هذا التصور مع تعقد منظومة الإقطاع، حتى أفرز في القرن الثالث عشر الميلادي صورة أدبية جمالية لقاطع الطريق، جعلت منه بطلاً، بدلاً من كونه مجرما[4]. ولذلك لم يتورع مؤلفو القصص الشعبية عن الزعم أن شارلمان نفسه استهوته حياة اللصوصية، وقصد بنفسه إلى إحدى الغابات، يمتلئ شغفا للقاء أحد اللصوص العتاة، والتماس مساعدته[5].

والمتأمل للواقع الحياتي في الدولة الكارولنجية يجد صعوبة بالغة في معرفة مراحل صنع اللص أو قاطع الطريق، ولا يجد تعويض ذلك في القوانين والمراسيم التي كانت نصوصها عقوباتية أكثر منها وصفية، ولا في النصوص السردية التي نحت نحوا عاطفيا في لوم اللصوص على جرائمهم، خاصة وإذا كان الضحية رجل دين.

وقد تناول بيير ريشي Riché هذه الناحية بالدراسة، محاولاً تفسير كيف يتحول إنسان عادي إلى لصٍ وقاطع طريق. في سبيل ذلك تتبع المصائب التي حاقت بالدولة الكارولنجية من نهاية القرن الثامن وحتى نهاية القرن التاسع. ووزعها بين مناخ متقلّب، وأوبئة ومجاعات، وزلازل وفيضانات، فضلاً عن الحروب. وخلص إلى أن هذه المصائب تركت تأثيرات اجتماعية واقتصادية خطيرة، كان أبرزها تفشي الفقر، وشح الغذاء، مما جعل المتسولين يفترشون الساحات

---

1 The Outlaws of Medieval England, *Hohonu: A Journal of Academic Writing* 3 (2005), p. 57.

2 "Banditry in the Kingdom of Hungary in the Middle Ages. Case Study: Some Gangs on the "Royal Land" (15th Century)", *Acta Musei Napocensis: Historica* 53/2 (2016), pp. 24- 25.

3 *Bandits*, pp. 23, 53, 63- 64.

4 Curott, Nicholas & Fink, Alexander, Bandit Heroes: Social, Mythical, or Rational? *The American Journal of Economics and Sociology* 71/2 (April, 2012), 471- 473.

5 See: Albrici Monachi Trium Fontium, Cronica, ed. P. Scheffer-Boichorst, in: *MGH*, vol. 23, p. 717. Also: Meijer, Reinder, *Literature of the Low Countries: A Short History of Dutch Literature in the Netherlands and Belgium*, New York: Twayene Publishers, 1971, p. 10.

العامة ومفارق الطرق. وما لبث أن اختلط بهم المحتالون والتجار المشبوهون *Mangones*. ولفت "ريشي" إلى إمكانية تحول هؤلاء إلى لصوص وقُطّاع طرق بأيسر السبل الممكنة، سيما وأن المسالك في عهد الكارولنجيين لم تكن آمنة، وجعل مسعاهم سرقة الأشياء الخفيفة والثمينة التي حملها المسافرون، وذكر أن الأمر بلغ بهم أن تتبعوا الجيوش في تنقلاتها، على أمل نهب أمتعتها[1].

إن هذا التفسير يدفع إلى قبول حقيقة: أنّه من السهل تحول السارق المحلي إلى قاطع طريق إذا لفظه المجتمع وضاقت عليه السبل، وحاصرته السلطات المحلية. وأن قاطع الطريق يذهب إلى سرقة أهل العمران، إذا تضاءل عدد المسافرين، الذين يمثّلون له المصدر المعيشي الرئيس. وعليه فإن الخيط الفاصل بين اللص وقاطع الطريق يعدُّ واهيا، ويصعب تحديده.

وقد ألمح كاسيودوروس إلى أن قُطاع الطُرق كانوا يقصدون إلى سرقة المناطق العمرانية ليلاً، بينما الناس نيام[2]، وأقر ذلك فلودوارد الريمسي Flodoard of Reims (ت 966م) مسميا قُطّاع الطُرق بعشاق الظلام *tenebrarum amatoribus*[3]. وكانوا عادة يتّخذون جواسيسا من قاطني العمران، يزودونهم بمعلومات تفصيلية عن البيوت التي قد تكون أهدافاً سهلة للسرقة، وعن ساكنيها، ومقدار ما يملكونه من متاع ثمين، أو ما يخفونه من أموال[4].

وبعيدا عن الفرضية التخيلية التي طرحها عالم الاجتماع الأمريكي مارك ستشمان Suchman عن المبررات الذاتية للصوص وتأثيرهم اجتماعيا، كجماعات تخالف الشرعيات القانونية؛ ثقافيا ومعرفيا وأخلاقيًا[5]، يمكن القول إن هذه الجماعات مثّلت في العصر

---

1 *Daily Life in the World of Charlemagne*, pp. 249- 252.

2 *Variarum*, lib. VII: 8, p. 207.

3 *Histoire de l'église de Reims*, vol. 2, lib. IV: 29, p. 541

عاش فلودوارد في الفترة (893/ 894– 966م)، وكان كاهنا في كنيسة مدينة ريمس. ألّف كتاب تاريخ كنيسة ريمس، الذي بدأه من سيرة روموس وروموولوس المؤسسين الأسطوريين لمدينة روما، ومضى يقتفي أثر أساقفة مدينة ريمس حتى القرن السادس. ثم الحوادث التاريخية حتى منتصف القرن العاشر الميلادي. وقد اعتمد فلودوارد على أرشيف كنيسة ريمس، وراجع مئات الخطابات التي خلّفها أساقفتها. ولذلك يعد كتابه من أهم المصادر التي لمست حقبة نهاية الدولة الكارولنجية. كما خطّ كتاب الحوليات الذي غطى السنوات بين (919– 966م)، ويعدُّ مصدرا مهما للعهد المبكر من الدولة الأوتونية. انظر: *Annales de Flodoard*, trans. Ph. Louer, Paris, 1903, intro., pp. VI- XIX. Also: Roberts, Edward, "Flodoard of Rheims and the Historiography of the tenth-century West", *Wiley Online Library*, (17 December 2019) https://doi.org/10.1111/hic3.12601.

4 Apuleius, *The Golden Ass*, IV, pp. 157, 159.

5 See: "Managing Legitimacy: Strategic and Institutional Approaches", *The Academy of Management Review* 20/ 3 (Jul., 1995), pp. 571- 610 esp. 572.

الكارولنجي تحد صارخ للسلطتين معاً: الدين والدولة. بمعنى آخر كانت اللصوصية تفرض نفسها مجتمعيا كأمر واقعي، حال ضعف الدولة وعدم تطبيق قوانينها.

مخابئ اللصوص ومسروقاتهم:

لا يمكن للص أن يلبث متخفيا داخل العمران، وعليه التمس أماكنا نائية للاختباء والتربص. وتشي النصوص الباكرة بأن الغابة كانت محلا مثاليا لاختباء اللصوص. فورد في سيرة القديس أفيتوس المعترف Avitus the Confessor (ت 525م) أن الغابة كانت موطنا للصوص[1]. وجاء في مرسوم الملك الميروفنجي شيلبريك– المذكور عاليه– أن اللص "**يهرب عبر الغابات، ولا يتمكن أقرباؤه، ولا الوكلاء الملكيون من إلزامه على المثول أمام الملك**"[2]. وورد في إخبارية إيكهارد Ekkehard of St. Gall (ت 1056م) أن الغابة كانت مسكنا لقطاع الطرق[3].

من ذلك تشجع المحدثون على الاعتقاد أن الغابة كانت موطناً مثاليا لاختباء اللصوص. وقد شرح بيكا هامالاينن Hämäläinen وصمويل ترويت Truett أن اللصوص كانوا يتخيرون غابات في المناطق الحدودية المنسية، بعيدا عن سيطرة الدولة؛ متخذين منها مخابئا للانقضاض على فرائسهم من السيارة. ويلوذون بها إذا ما جرت محاولة القبض عليهم[4]. وأوضح تيموثي رويتر Reuter أن الغابة والبرية بالنسبة للصوص كانتا أماكنا لممارسة الجريمة، أكثر من كونهما مساكنا لهم[5].

على أن ثمة روايات مصدرية تجاوزت هذا التصور، وأوضحت أن اللصوص كانت لهم حياة ونظُم، وأنهم اتّخذوا مخابئ أخرى خلاف الغابة. فقد أشار نص يعود إلى القرن الثاني الميلادي إلى أن اللصوص اتّخذوا ملاذهم عند أطراف طرق جبلية وعرة، يصعب اجتيازها[6]. وأنهم كانوا يقيمون في مغارات عند نهايات هذه المسالك. وجاء وصف هذه المغارات كما يلي: "**تقع في مرتفع وعر، تغطيه غابة. ودونها منحدرات معوجة وصخور ناتئة، يصعب تسلقها. فضلاً عن**

---

1 Vita Aviti Aurelianensis, in: *MGH scriptorum rerum merovingicarum*, III, p. 384.

2 Chilperici Edictum, in: Capitularia regum Francorum, I, c. 10, p. 10.

3 Ekkehardi IV. Casus St. Galli, Rerum Germanicarum medii II, *MGH* II, c. 3, p. 98.

4 See: Hämäläinen, Pekka & Truett, Samuel, "On Borderlands", *The Journal of American History* 98/2 (Sept. 2011), pp. 346- 347; Goalwin, Bandits, Militants, and Martyrs, p. 454.

5 "The Insecurity of Travel in the Early and High Middle Ages: Criminals, Victims and their Medieval and Modern Observers", in: *Medieval Polities and Modern Mentalities*, Cambridge; New York: Cambridge University Press, 2006, p. 54.

6 Apuleius, *The Golden Ass*, III, p. 143.

أودية سحيقة، يملؤها العشب والدغل. وكان اللصوص يحيطون المغارة بسياج سميك مضفور، كالذي يستخدم في تسوير الحظائر. وأما مدخل المغارة فيمتد مسافة طويلة أشبه بالبهو، مقام خارجه كوخ صغير مغطى بالقصب، كان يستخدم لمناوبات الحراسة. وكل ذلك جعل من المغارة حصنًا مكينًا"[1]. ما نفيده من هذا الوصف، وإن كان مصدره أدبيا، أنه رسم صورة لما قد تكون عليه المحال التي سكنها أو احتمى بها اللصوص في العصور الوسطى الباكرة[2].

وقد ساير هذا الوصف ما ورد في رواية جوردانيس Jordanes (القرن السادس) عن موضع يقع على نهر الدانوب: "**مكان ناء، لم يحرث أحد تربته، ولم يزرع بنبات مثمر. هو أصلح ما يكون لإقامة اللصوص**"[3]. ويوافقه ما ورد في رواية تصف المكان حيث بني دير فارفا Farfa بإيطاليا سنة 700م، فجاء ما نصه: "**أن المكان كان وعرا، يحيطه دغل، لا يصلح إلا لقُطّاع الطرق**"[4]. وأيضا ما جاء في شعر إيكهارد سان جول عن كهف تكتنفه الأشجار، يعلو منحدر وعر، فعلّق بقوله: "**هذا المكان الحصين كان مخبأً مثاليا لقُطّاع الطرق**"[5].

على أن بعض النصوص الكارولنجية أفادت أن اللصوص قد طوروا أماكن اختبائهم، واتخذوا أبراجا حصينة لإقامتهم؛ فجاء في إخبارية تصف زحف شارلمان على إيطاليا عام 773م لقتال اللمبارديين، النص التالي: "**وبينما كان شارلمان يعبر الجبل المعروف باسم جبل التوأم *Gemini*، الواقع عند مدخل إيطاليا (حاليا جبل بولكس Pollux)، علم أن لصا خطيرا يدعى إبرارد Ebrard أقام على رأس جماعة من أمثاله في برج حصين بمنحدر أسفل الجبل المذكور، وكان يقطع الطريق على المارة، ويلحق بهم صنوف الأذى: ضربا ونهبا وقتلا. وقد بادر شارلمان إلى هذا المجرم، فقتله وهدم برجه**"[6]. ورغم أن هذا النص لم يفصل وصفا للبرج نفسه، ولا تفاصيل الحياة داخله، وهي المعلومات التي تكون غاية في الأهمية، غير أنه يشي

---

1 Apuleius, *The Golden Ass*, IV, p. 153.

2 تعدُّ رواية الحمار الذهبي لكاتبها الأفريقي المتعدد المواهب لوشيوس أبوليوس (ت حوالي 180م) من أكثر الروايات الأدبية انتشارا في بواكير العصور الوسطى. وقد احتفى بها عدد من أساطين الفكر المسيحي، على رأسهم القديس أوغسطين، الذي أظهر تأثره بها في كتابه الاعترافات. انظر: مقدمة الترجمة العربية.

3 *The Gothic History*, trans. C. Mierow, Princeton, 1915, LVIII, p. 138 وجوردانيس يعد من المؤرخين الأوائل ذوي الأصول الجرمانية. يرجع نسبه إلى أسرة قوطية نبيلة أقامت في مدينة رافنا الإيطالية، وربما تولي منصب أسقفي في هذه المدينة. وضع تاريخا عن روما باسم *Romana*، ولكن مؤلفه الأشهر كان *Getica* الذي خطّه سنة 551م، وأرخ فيه للقوط. انظر: Ibid, intro

4 Histroriae Farfenses: Constructio, *MGH*, XIII, p. 524.

5 Ekkehart, Waltharius, in: *MGH, Poetarum latinorum medii aevi*, VI: I, vv. 496- 496, p. 44.

6 Chronicon Novaliciense, in: Rerum Germanicarum VII, *MGH*, IX, lib. III: 7, p. 99.

بأن مخابئ اللصوص لم تكن بمعزل عن الضرورات المعيشية اللازمة للإنسان، كالماء والغذاء[1].

وأما المسروقات فكان اللصوص يعترضون المارة ويسلبونهم كل ثمين حملوه، ولذلك لم يكن غريبا أن تكون الخيول وقطعان الماشية ضمن أسلابهم[2]. وحين لا يكون ذلك كافيا كانوا يعمدون إلى سرقة البيوت. وقد تنوعت مسروقاتهم بين النقود والأوعية والأقمشة القطنية المطرزة بالذهب[3]. كما أنهم كانوا يسرقون محتويات الكنائس والأديرة، كما سيأتي شرحه. وفي مناسبات أخرى كانوا يختطفون المسافرين ويبيعونهم. وقد ذكر كاتب سيرة القديس إيمرام Emmeram (ت 652م) أن قُطّاع الطرق باعوا شابًّا في بلدة فرنجية، ثم اختطفوه ثانية وباعوه في ثورنجيا Thuringia، حيث ذاعت شهرته في أعمال البناء وصناعة الطواحين[4]. وفي تاريخ جمبولد المانتوي Gumpold of Mantua (ت 981م) أن قطاع الطرق اختطفوا رجلاً وباعوه[5].

ولكن في حالات أخرى إذا عثر قُطّاع الطرق على شخصية مهمة، كانوا يطلبون فدية نظير إطلاقه. وقد تعرض لذلك بعض قصاد إيطاليا من الحجاج أو ممن تصدى إلى مهامٍ دبلوماسية. مثلما حدث مع مايولوس رئيس دير كلوني Maiolus of Cluny حين اختطفه مسلمو فراكسينتوم Fraxinet عام 972م أثناء عودته من روما عبر ممر جبال الألب المعروف باسم القديس برنارد Great St. Bernard Pass، واشترطوا دفع فدية لإطلاق سراحه. وقد بادر رهبان دير كلوني إلى جمع ألف قطعة نقدية من الفضة، وسلّموها إلى المسلمين[6]. على أن هذا

---

1 وربما تعوض رواية لوشيوس أبوليوس نقص المعلومات في النص السابق، فقد ورد: "أن اللصوص كانوا يستمدون مياه الشرب من نبعٍ ينحدر من قمة الجبل، ويندفع في جداول صغيرة، ليروي الوديان السفلية". وأما المواد الغذائية فكانت متوفرة، أو على الأقل السلع الأساسية منها، مثل: اللحوم والخبز والخمور، وأطعمة أخرى شهية. وكان اللصوص يتناولون كميات كبيرة منها. انظر *The Golden Ass*, IV, p. 155, VII, p. 311 كما لم ينقصهم وسائل الاستجمام والراحة، فكانوا يغتسلون بالماء الدافئ، ويدهنون أجسامهم بالزيت المعطّر. انظر: Ibid, IV, p. 155 وكل ذلك يؤكّد أن مخابئ اللصوص كانت أماكنا للاختباء والحماية والمعيشة في الوقت ذاته.

2 Apuleius, *The Golden Ass*, VII, pp. 303, 315.

3 Ibid, IV, pp. 155, 157, 159.

4 See: Arbeonis episcopi Frisingensis, Vita Haimhrammi episcopi, in: *MGH Scriptores rerum germanicarum*, Hannover, 1920, p. 11; idem, Vita vel passio Haimhrammi et martyris Ratisbonensis, *MGH scriptorum rerum merovingicarum*, IV, p. 459.

5 Gumpoldi vita Vencezlavi ducis, in: Rerum Germanicarum medii aevi IV, *MGH* VI, 27, p. 222.

6 Raoul Glaber, *Histoires*, trad. M. Arnoux, Turnout: Brepols, 1996, I, IV: 9. Also: Bruce, Scott, "An Abbot between two Cultures: Maiolus of Cluny Considers the Muslims of La Garde-Freinet", *Early Medieval Europe* 15/ 4 (2007), pp. 426- 440.

الأمر سبب حرجا كبيرا لقادة الغرب الأوربي، وكان من نتيجته أن نهض وليام كونت بروفانس William of Provence وأردوين كونت تورين Ardoin of Turin بجنودهما عام 973م، وهزما المسلمين وأمنا ممرات الألب تماما من بقاياهم[1].

كما أن سرقات أخرى راجت في غرب أوربا منذ القرن التاسع الميلادي، وهي سرقة رفات القديسين أو الشهداء الأوائل، لما كان لها من أهمية دينية سياسية[2]. وكانت إيطاليا- لا سيما روما- موطنا رئيسا لهذه الرفات. وقد برز اسم الشماس ديوسدونا Deusdona كأشهر لص سمسار في النصف الأول من القرن التاسع الميلادي، حيث اعتاد سرقة عظام الموتى، وبيعها

في وصفه للعملة التي دفعت بها الفدية ذكر راؤول جلابيه لفظ *librarum* الذي يترجم إلى livre **أو** Pound **ويعني جنيها في اللغات الحديثة. ولكن اللفظ في القرن التاسع كان يعني كلمة رطل، الذي اتخذه الكارولنجيون وزنا للدنانير الفضية، فكانوا يقسمون الرطل إلى مئتي وأربعين دينارا. انظر: كانتور، العصور الوسطى الباكرة، ص 322- 323. وكان وزن الدينار في القرن التاسع حوالي جرام ونصف فضي. انظر:** Coupland, Simon, *Carolingian Coinage and the Vikings*, Farnham, 2007, pp. 62- 63; idem, "The Use of Coin in the Carolingian Empire in the Ninth Century", in: Rory Naismith, Martin Allen, and Elina Screen (eds.), *Early Medieval Monetary History: Studies in Memory of Mark Blackburn*, London: Routledge, 2014, pp. 257- 289 **ويستبعد الباحث أن راؤول قصد** الرطل، لأن حساب المبلغ عندئذ سيكون مائتين وأربعين ألف دينار، وهو رقم يتجاوز المعقول بالنظر إلى كونه فدية. وربما أراد راؤول بكلمة ***librarum*** الجنيه الفضي الذي بدأ استخدامه في باريس منذ القرن الحادي عشر الميلادي. وعلى ذلك فإن الأقرب إلى المنطق أن تكون الفدية التي قبضها المسلمون ألف قطعة فضية.

1 Krueger, Hilmar, "The Italian Cities and the Arabs before 1095", in: Marshall Baldwin (ed.), *A History of the Crusades, vol. I: The First Hundred Years*, Gen. ed. K. Setton, Pennsylvania: University of Pennsylvania Press, 1955, p. 51.

للمزيد عن قاعدة فراكسنتيوم الإسلامية، راجع: Liudprand, *Antapodosis*, 1: 2- 4. Also: Ballan, Mohammad, "Fraxinetum: An Islamic Frontier State in Tenth Century Provence", *Comitatus: A Journal of Medieval and Renaissance Studies* 41 (2010), pp. 23- 76

علي، وفاء غزالي، "تاريخ المسلمين في فراكسينتوم (277- 365هـ /890- 975م)"، *مجلة المؤرخ العربي* 19 (2011)، ص 323- 356؛ المحلاوي، حسام، "إمارة القلال الإسلامية جنوب بلاد الغال "قاعدة فراكسينت" (277-**365**هـ /890- 975م)"، *مجلة كلية الآداب بنها* 36 (2014)، ص 216- 241؛ عبود، أنسام، "إمارة جبل القلال أو دولة فراكسينتوم Fraxinetum (277- 365هـ /890- 975م)"، *مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية* 43/ 2 (2018)، ص 116- 145.

2 انظر التفاصيل في: أبو سعدة، الأمين، التوظيف السياسي لرفات القديسين ومتعلقاتهم المقدسة في أوربا العصور الوسطى، *مجلة كلية الآداب- جامعة المنصورة*، عدد 35 (2004)، ص 403- 476 خاصة 421- 423، 427- 429، 438. وللمزيد: McKitterick, *Charlemagne*, pp. 329- 330

على أنّها بقايا قديسين وشهداء رومان[1]. وكان من رواج هذه التجارة أن تخصص بها لصوص في القرن العاشر الميلادي، عملوا في خدمة الملوك الأنجلو سكسون، وكانوا يسافرون جيئة وذهابا بين إنجلترا والسواحل القارية، حيث نورماندیا Normandy وبريتاني Brittany، يفتّشون عن بقايا القديسين. واحتالوا في سبيل إنجاز ذلك، فكانوا يندسون بين قوافل التجار[2].

ومما يشار إليه أن كثير من السرقات كانت تنتهي بقتل الضحية. وغير معروف دوافع اللصوص لقيامهم بالقتل، سوى أن ذلك ربما كان من مقتضيات إنجاز السرقة في هدوء وسكينة دون أن يتنبه أحد. أو أنّه نابع من حقد وكراهية طبقية دفينة[3]. وقد تواصلت عادة القتل طيلة العقود الكارولنجية، حسبما يظهر من سير القديسين؛ فورد في رواية عن معجزات القديس ليدفينوس Leudwinus (ت 722م) أن امرأة فقدت عقلها بسبب تعرض وحيدها للقتل على أيدي قطاع الطرق[4]. كما ورد عن الناسك مينارد الأينسيديلني Meinrad of Einsiedeln أنه قتل سنة 861م على أيدي أثنين من اللصوص، ليس في سفر، بل أثناء صلاته في مضيفة على شاطئ بحيرة زيورخ العليا[5]. وسوف يشار لاحقا إلى غير ذلك من شواهد.

واقع اللصوصية في القوانين الكارولنجية وسبل مواجهتها:

لا جدال أن انتشار اللصوصية من عدمه يسير عكسيا مع قوة الدولة وقدرتها على فرض القوانين، وتفعيل العقوبات. ورغم أن العالم الكارولنجي بلغ أوج قوته وعظمته في عهد شارلمان، غير أن هذا العالم كان يحمل في طياته بذور الوهن والاضطراب، لأسباب ترتبط بالحروب وصراعات الأسرة الحاكمة، والاختلافات العرقية، والتعددية الثقافية، والصراعات الدينية، والمنظومة الإقطاعية الظالمة، ثم اقتصاد زراعي منغلق، يكاد يكون بدائيا. لكل ذلك كانت

---

1 Geary, Patrick, *Furta Sacra: Thefts of Relics in the Central Middle Ages*, Princeton, New Jersey: Princeton University Press, 1978, p. 45- 47; idem, *Living with the Dead in the Middle Ages*, Ithaca and London: Cornell University Press, 1994, pp. 188- 189.

2 Geary, *Furta Sacra*, pp. 45, 49- 52; idem, *Living with the Dead*, pp. 212- 213.

3 See details in: Pahlavan, Farzaneh, *Les conduites agressives*, Paris: Armand Colin, 2002, p. 106؛ تنوعت أسباب العنف المجتمعي بين اجتماعية واقتصادية وأيديولوجية وبيولوجية. انظر: أوزي، أحمد، سيكيولوجية العنف، الرباط، 2014، ص 86 وما يليها. وتراجع آراء سيجموند فرويد، وجون دولارد، وليوناردو دوب، ونيل ميلر، وألبرت بندورا في: سيكولوجية العدوان، ترجمة: عبد الكريم ناصيف، عمان– الأردن: دار منارات للنشر، 1986.

4 See: *Ex Miraculis St. Liutwini*, in: *MGH SS*, XV: 2, no. 32, p. 1268.

5 Vita St. Meginrat, ed. O. Holder-Egger, *MGH SS*, XV: 1, pp. 447- 448; *Herimanni Augiensis Chronicon*, *MGHSS*, V, p. 105; *Annales Marbacenses 759- 862 ad*, in: Rerum Germanicarum medii aevi XVII, *MGH* XVII, p. 151; *Bernoldi Chronicon*, in: Rerum Germanicarum medii aevi V, *MGH* VII, p. 420.

مسألة القضاء على اللصوصية هي مسألة جدلية، تتذبذب صعودا ونزولاً حسب قوة الحاكم الكارولنجي، بل أن شارلمان نفسه لم يكن بقادرٍ على حسمها[1].

وتظهر القوانين والمراسيم منذ القرن الثامن الميلادي أن السادة الكارولنجيين اهتموا بتأمين السابلة وحفظهم من اللصوص، وأنهم حرصوا أشد الحرص على حفظ وحماية الحجاج، الذين خرجوا إلى زيارة الأماكن المقدسة. وقد ورد في مرسوم لـ ببين القصير Pepin III (751–768م)، صدر بين سنتي 754– 755م: "**أن الحجاج الذين يخرجون في سبيل الله إلى روما وغيرها، يجب إلّا يتم احتجازهم بأي ذريعة على الجسور أو في الممرات الجبلية، أو في البحر. ولا يطالبون بدفع شيء من ممتلكاتهم المنقولة، ولا تفرض عليهم أية رسوم مالية**"[2]. وورد المعنى نفسه في المجلس الذي عقد بمدينة فيرني Verneuil يوليو 755م[3]. على أن هذه النواهي لم تشر إلى عقوبات واضحة، ويبدو أنها لم تكن كافية للضرب على أيدي قطاع الطرق، لأن إصدارها تواصل لاحقا.

ففي تحذير عام أصدره شارلمان في 23 مارس 789م جاء: "**يجب تخصيص نُزل مؤمنة وقانونية لاستقبال الغرباء والحجاج والفقراء**"[4]. وفي مرسوم له عممه مبعوثوه في أرجاء الإمبراطورية سنة 802م: "**لا يتعرضن أحدٌ للحجاج باحتيال أو نهب أو أي نوع من الأذى، لأن الإمبراطور نفسه– بعد الله وقديسيه– هو حاميهم والمدافع عنهم**". وجاء أيضا: "**لا يمتنع أحدٌ من ضيافة الفقراء والغرباء المسافرين في سبيل الله، بل يجب تقديم المأوى والدفء لهم**"[5].

كما حاول الكارولنجيون إظهار قوة الدولة في التعامل مع اللصوص، وجاء ذلك على وجهين: الأول حين منحوا موظفي الدولة صلاحية ضبط اللصوص. والثاني حين غلّظوا العقوبات على الأخيرين. وجاءت البداية مع شارلمان حين وجه إلى مبعوثيه *missi dominici*

---

1 See: Ganshof, François, "The Last Period of Charlemagne`s Reign: A Study in Decomposition", in: *The Carolingians and the Frankish Monarchy*, London: Longman, 1971, pp. 240- 250; De Jong, Mayke, "The Empire that was always Decaying: The Carolingians (800- 888)", *Medieval Worlds* 2 (2015), pp. 6- 25. DOI 10.1553/medievalworlds_no2_2015s6.

2 Pippini regis Capitulare, in: Capitularia Regum Francorum I, *MGH* II: 1, c. 4, p. 32; Pippini Capitulare, Rerum Germanicarum medii aevi I, *MGH* III, c. 4, p. 31.

3 Pippini Capitulare: Concilium Vernense, in: *MGH* II: I, c. 22, p. 37; Concilium Vernense, in: Rerum Germanicarum medii I, *MGH* III, c. 22, p. 27.

4 Admonitio generalis, in: Capitularia Regum Francorum I, *MGH* II: I, c. 75, p. 60. Also: Fried, Johannes, *Charlemagne*, trans. P. Lewis, Cambridge, Massachusetts: Harvard University Press, 2016, pp. 265- 266.

5 Capitulare missorum geneiale, in: Capitularia Regum Francorum I, *MGH* II: I, c. 5, 27, pp. 91- 96.

بمطاردة وتأديب اللصوص وسواهم من قطاع الطرق[1]، وإلى الكونتات والأساقفة بالضرب على أيديهم وضبط سلوكهم[2]. على أن شارلمان في الوقت ذاته قيد صلاحيات هؤلاء، فحذّر من أن يوجهوا اتهامات دون أدلة، وألّا يغلب عليهم الكيد لأحد، فيوقعوا به عبر اتهامه باللصوصية[3]. ومع ذلك تزايد دور المبعوثين الملكيين في ملاحقة اللصوص والإيقاع بهم، حسب ما توضح مراسيم لويس التقي عامي 817، 819م[4]، ووفق ما جاء في اتفاق بين الأخوين: لوثر الأول وشارل الأصلع في نوفمبر 853م[5]. وحسب ما ورد في توجيهات للأخير عام 854م[6].

وأما العقوبات فأقبلت تترى في المراسيم الكارولنجية منذ عهد شارلمان أيضا؛ فجاء في مرسوم له بين سنتي 782– 786م مذيل بتوقيع ولده "ببين"، وكان ملكا على إيطاليا: "**أن الغرباء والحجاج الذين يقصدون إلى روما، أو يزورون الأماكن المقدسة يجب توفير الأمان لهم جيئة وذهابا، وإذا تعرض أحدٌ لأي من هؤلاء الحجاج، فليدفع ستين صوليدي إلى الخزانة الملكية، وفي حالة قتله أي من الحجاج فإنّه يخضع إلى ما يقتضيه القانون من قصاص**"[7]. ويلاحظ هنا التمييز في العقوبة حسب الجناية. وهو ما جعل المؤرخ فرانسوا لويه جانشوف

---

1 Karoli Magni et Pippini filii, Capitulare Mantuanum 781 ad, in: Capitularia regum Francorum I, *MGH* II: 1, c. 10, p. 191; Karoli Magni: Capitulare missiorum aquitanorum 789 ad, *MGH* 1, c. 12- 13, pp. 15, 65; Pippini Capitularia, 802 ad, in: Rerum Germanicarum medii aevi I, *MGH* III, c. 13, p. 104; Capitula cum primis constituta 808 ad, in: Ibid, c. 2, p. 139; Capitulare missiorum 808 ad, in: Ibid, c. 8, p. 140; Capitulare Noviomagense duplex 808 ad, in: Ibid, c. 2, p. 152; Capitulare Aquisgranense, in: Ibid, c. 8, p. 154.

2 Karoli Magni: Capitula per Episcopos et Comites, *MGH* 1, c. 5, p. 141; Pippini Capitulare Italicum 801- 810 ad, in: Capitularia regum Francorum I, *MGH* II: 1, c. 13, p. 210. Cf. Karoli Magni: Capitulare Mantuanum, *MGH* III, I, c. 10, p. 41; Karoli Magni: Capitulare Aquisgranense 805 ad, *MGH* III: I, c. 5, p. 130; Leges Langobardorum: Liber Papiensis, in: *MGH* IV, no. 67, p. 500.

3 Karoli Magni: Capitulare de latronibus, *MGH* III, c. 2- 3, p. 129.

4 Hludowici I. Capitularia, in: Rerum Germanicarum medii aevi I, *MGH* III, c. 12, p. 217; Hludowici: Capitulare missorum, in: Capitularia regum Francorum 1, *MGH* II: I, c. 12, p. 290.

5 Hlothari et Karoli conventus, in: *MGH* I, p. 422.

6 Capitulare missorum Attiniacense, in: Capitularia regum Francorum II, *MGH* II: II, c. 1, p. 277. Cf. Benedicti Capitularia, in: Rerum Germanicarum medii aevi II: II, *MGH*, IV, lib. 1, c. 241, p. 59.

7 Pippini Italiae regis capitulare, in: *MGH* II, c. 10, p. 193.

Ganshof يعلن أن الكارولنجيين عمدوا إلى توزيع العقوبات بين غرامات جزئية وأخرى بدنية تصل إلى الموت[1].

وقد أكّد شارلمان على عقوبة الشنق. وأظهرت مراسيمه وقوانينه أشد العبارات في إدانة اللصوص، حسب الجرم؛ فتضمن قراره سنة 793م بشنق المشاركين في ثورة ولده ببين الأحدب Pepin The Hunchback، عبارة "**كما لو كانوا لصوصا**"[2]. وقرن بعد سنة 802م اللصوصية بجرائم سفاح القربى وممارسة العنف ضد الكنائس[3].

واللافت أن عقوبة الإعدام لم تكن وليدة عهد شارلمان، بل هي ترجع إلى القوانين اللمباردية التي نصت عليها كخاتمة لعقوبات بدنية، تدرجت باللص تصاعديا وفق جرمه؛ فجاء أن اللص تُفقأ عينه أول مرة يقبض عليه، وتُقطع أنفه في الثانية، ثم يعدم في الثالثة[4]. وقد تبنى شارلمان هذه العقوبات البدنية عام 779م وطبقها، على الأقل في إيطاليا[5]. كما فرض عقوبات مشابهة على من يثبت أنه كفل الحماية للصوص[6]. وظلّت هذه العقوبة نافذة ومعمول بها في عهود الكارولنجيين اللاحقين؛ فظهرت في مرسوم للوثر ابن لويس التقي سنة 832م[7]. على أن هذه القوانين نظرت أيضا في خطورة الجرم، ففي بعض الحالات ألزمت السارق الحر بدفع ثمانين صوليدي، والعبد أربعين[8].

ويمكن إرجاع هذا التنوع إلى أن القوانين الكارولنجية تأثّرت بتشريعات الممالك الجرمانية التي سبقت ظهور شارلمان، ثم ما لبثت أن انضوت تحت لوائه، وغدت أقاليما في دولته

---

1 Ganshof, *Frankish Institutions Under Charlemagne*, Rhode Island: Brown University Press, 1968, pp. 74- 76; idem, "The Impact of Charlemagne on the Institutions of the Frankish Realm", *Speculum* 40/1 (Jan., 1965), p. 5.

2 Reuter, The Insecurity of Travel in the Early and High Middle Ages, p. 48.

3 Capitulare Baiwaricum, Capitularia regum Francorum I, *MGH* II: 1, c. 5, 6, pp. 158- 159.

4 Leges Langobardorum, *MGH* IV, pp. 364, 494 (no. 43), 503 (no. 84).

5 Capitulare Francicum, Capitularia regum Francorum I, *MGH* 1, no. 23. p. 39; Karoli Magni: Leges Langobardorum et communis, *MGH* 1, no. 23, p. 51; Capitulare Karoli Magni 779 ad, *MGH* III, I, no. 12, p. 38.

6 Riché, Pierre, *Daily Life in the World of Charlemagne*, Pennsylvania: University of Pennsylvania Press, 1978, p. 252.

7 Hlotharii I. Capitularia, in: Rerum Germanicarum medii I, *MGH* III, c. 11, p. 363.

8 Leges Langobardorum, Capitularia regum Francorum I, *MGH* II, p. 364; Ibid, Liber Papiensis Liutp., no. 110, p. 455.

المترامية[1]. وقد ورد صراحة في مجموعة ببين ابن شارلمان: "**إن تجريم السارق يكون حسب القانون الذي يخضع له من تعرض للسرقة**"[2].

ويدل على صدق هذا التحليل أن عقوبة اللص أو قاطع الطريق في القوانين اللمباردية تدرجت من التشويه الجسدي وصولاً إلى الموت، كما سبق القول. وكان الشنق هو العقوبة المثلى في القوانين الميروفنجية[3]، والقوانين البافارية[4]. في حين لم تكتف القوانين البرجندية بمعاقبة اللص، بل طالت أسرته. فجاء في إحدى موادها: "**حيث أن العقوبات السابقة سواء أكانت غرامات مالية أم إعدام، لم تكن كافية لردع اللصوص، فقد تقرر أن زوجة السارق إذا ثبت معرفتها بجريمة زوجها ولم تبلغ عنه، يجب أن تفقد حريتها، وتدفع عبدة خادمة إلى من تعرض للسرقة، ذلك ولو تم إعدام زوجها. كما أن أبناؤه ممن تجاوز العاشرة، وبات يفترض فيهم الإدراك والمعرفة، يفقدون حرياتهم ويصبحون عبيداً بالمثل**"[5].

ورغم ذلك، بقيت عقوبة الشنق– متى فعلت– رادعة للصوصية، وكانت سلاحا ناجزا في أيدي الحكّام الأقوياء. فقد لجأ رولو Rollo (911– 930م) إلى تطبيقها في نورماندیا أول عهده، حيث شنق اثنين من اللصوص، وتبع ذلك أن ساد الأمان مقاطعته[6].

على أن القوانين الكارولنجية لم تسمح بتطبيق هذه العقوبة جزافيا، بل ميزت بين حالتين للسارق أو قاطع الطريق؛ إذا قبض عليه متلبسا بجريمة قتل، أو مجرد اتهامه. ففي الحالة الأولى تفضي محاكمته إلى الموت شنقا[7]، وفي الثانية يجب إثبات التهمة من قبل المحكمة

---

1 See: Smith, Julia, *Europe after Rome: A New Cultural History (500- 1000)*, Oxford: Oxford University Press, 2006, pp. 100- 101; Rollason, David, *Early Medieval Europe 300-1050: The Birth of Western Society*, Oxford; New York: Routledge, 2014, pp. 47- 48.

2 Liber Papiensis Pippini, *MGH* IV, c. 8, p. 517.

3 ذكر جريجوري التوري Gregory of Tours أن لصا حكم عليه بالشنق، لأنه سرق حصاناً. انظر: *Glory of the Martyrs*, trans. Raymond Van Dam, Liverpool: Liverpool University Press, 72, p. 68.

4 Capitulare Baiwaricum, Capitularia R. Francorum I, *MGH* II: 1, c. 5, 6, 158- 159.

5 Leges Burgundionum- Liber Constitutionum, in: Leges Nationum Germanicarum, II: 1, *MGH* 1, no. 47, pp. 77- 78, et, Leges Burgundionum- Lex Romana, in: Ibid, tit. 24, p. 146.

6 Dudo of Saint-Quentin, *History of the Normans*, trans. E. Christiansen, Woodbridge: The Boydell Press, 1998, II, 32.

7 Capitulare Karoli M. de latronibus. 804- 813, in: Capitularia regum Francorum I, *MGH* II: 1, c. 2, p. 180.

أولاً[1]. وهنا كان المتّهم يعرض على القاضي، الذي يصغي جيدا إلى الشهود. وهؤلاء يفترض أن يكون ضمنهم معتقلو الجاني، ليدلوا بشهادتهم، في الوقت الذي يسمح للمتّهم بالدفاع عن نفسه. وهو ما جعل فرانسوا بوجار Bougard يرجح أن نسخا من المواد القانونية كانت متوفرة أثناء عقد المحاكمات، لمراجعتها إذا ما اقتضت الضرورة[2]. فإذا ثبتت التهمة لا يسمح للجاني بالكلام، ويدفع به إلى المشنقة إذا كانت جريمته القتل، أو أن يدفع ستين صوليدي إذا اقتصر جرمه على السرقة[3].

وقد تنبه الكارولنجيون إلى أن اللصوص قد استتروا بحماية البعض، سواء أكانوا من قرابتهم أم من السادة وأصحاب السلطة. فشدد شارلمان منذ عام 779م على تحريم إيواء اللصوص وقُطّاع الطرق: "**إن من يأوي اللصوص فليغرم ماليا. وإذا أخفاهم من في مرتبة الكونت، وحال دون تقديمهم للعدالة، ولم يقدم مبررا وافيا لفعله ذلك، فإنه يفقد رتبته**"[4]. وحذّر في ملحق أضافه على القوانين اللمباردية سنة 801م: "**الذي يأوي لصا محكوم بالموت، ويحول دون تقديمه للقاضي، فإنه يغرم بقيمة نصف الضرر الذي أوقعه اللص، وإذا قُبض على اللص ثانية يعدم**"[5]. ثم حظر سنة 809م مساعدة اللص أو حمايته، "**لأنّه شخص ملعون، وبعيد عن رحمة الرب**"[6]. وشدد شارلمان في تعديل على القوانين اللمباردية: "**أن الشخص الذي يتّهم بإخفاء لص أو التستر عليه يجب أن يحلف على براءته، ويشهد على ذلك اثنا عشر فرنجيا أمام القاضي. وإذا فشل في تحقيق ذلك، توقع عليه العقوبة التي أشير إليها آنفًا**"[7].

---

1 Capitulare missorum in Theodonis villa datum. 805, Ibid, c. 21, p. 125; Formulae Turonenses, in: Formulae Merowingici et Karolini Aevi, *MGH* 5, no. 28, p. 151.

2 *La justice dans le royaume d'Italie de la fin du VIIIe siècle au début du XIe siècle*, Rome: École française de Rome, 1995, p. 48.

3 Capitulare Haristallense. 779, Capitularia regum Francorum I, *MGH* II: 1, c. 11, 23, pp. 49, 51. Also: Ganshof, *Frankish Institutions under Charlemagne*, pp. 94- 95; idem, The Impact of Charlemagne on the Institutions, p. 54.

4 Karoli Magni: Leges Langobardorum et communis, in: *MGH* 1, c. 9, pp. 37, 48; Leges Saxonum, in: *MGH* V, c. 24, pp. 43- 44; A Capitulatio de Partibus Saxoniae, in: Leges Saxonum et Lex Thuringorum, in: *Fontes Iuris Germanici Antiqui*, ed. Von Schwerin, c. 24, pp. 41- 42; Capitula quae de partibus Saxoniae constituta sunt, in: Rerum Germanicarum medii aevi I, *MGH*, III, c. 24, p. 49.

5 Karoli Magni: Capitula quae addita sunt ad legum Langobardorum *MGH* III: I, c. 4, 7, p. 84; Capitulare Italicum 801, Capitularia regum Francorum I, *MGH* II, c. 2, p. 205. Cf. Lex romana raetica curiensis 770 ad, lib. IX, in: *MGH* V: V, p. 375.

6 Capitulare Aquisgranense 809 ad, in: Capitularia regum Francorum nova series *MGH*, I, c. 57, p. 356; Leges Langobardorum: Liber Papiensis Pippini, in: *MGH* IV: IV, no. 41 (1), p. 521.

7 Liber Papiensis Pippini, no. 41, p. 521.

والحق أن حماية اللص مثّلت أزمة في القوانين الكارولنجية مع تغلغل الإقطاع؛ لأن بعض قُطّاع الطُرق كانوا يستغلون دخولهم في حماية أحد السادة الإقطاعيين، ويقومون بالسرقة خارج دومين هذا السيد، ثم يستظلون بحمايته. وكان هذا الأمر يمثّل صعوبة بالغة إذا نظر أمام القضاء: لأن مثل هذه الحالة تنظر أمام محكمة أي دومين؟ وتخضع لأي قانون؟ وإذا حكم بتعويض الضحية، فهل يستجيب السيد الذي يتبع اللص دومينه؟[1]

وقد حاول الكارولنجيون حسم هذه المعضلة؛ فنبه لويس التقي في ملحقٍ أضافه على القوانين اللمباردية على عدم إيواء النواب والكونتات للصوص[2]. وأكد في مرسوم يحمل اسمه مقرونا باسم ولده لوثر (سنة 827م) مسألة شهادة الإثني عشر محلّفا لتبرئة المتّهم بحماية اللصوص[3]. وحذّر شارل الأصلع في مرسوم عام 853م من أن يخفي أحدٌ لصا ولو كان ذي قرابة، بل من واجبه أن يقدمه من فوره إلى العدالة[4]. وأكّد الأمر نفسه في مرسوم عام 873م، مع التشديد على مسألة الإثني عشر محلّفا[5].

ولم يلبث أن قرن الكارولنجيون تحذيراتهم بالعقوبات؛ فورد في مجموعة الراهب أنسجيسوس Ansegisus (ت 834/833م)[6]: "**أن أي كونت إذا عرف باختباء قاطع طريق في غابة أو**

---

1 See: Leges Langobardorum: Liber Papiensis, in: *MGH* IV, no. 9, pp. 485- 486.

2 Leges Langobardorum: Liber Papiensis Ludovici, in: *MGH* IV, IV, no. 45, p. 538; Capitularia Spuria: Benidicti Capitularium additio IV, in: Rerum Germanicarum medii aevi II, *MGH*, IV: II, no. 128, p. 155.

3 Hludowici et Hlotharii Capitularia, in: Ansegisi Capitularium Libri III, *MGH*, III: I, c. 23, p. 303; Ansegisi Capitularium Libri III, in: Capitularia regum Francorum I, *MGH* II: 1, no. 23, p. 428.

4 Karoli II: Capitularia Rerum Franciae occidentalis, in: Capitularia regum Francorum II, *MGH*, II, c. 4, p. 272.

5 Capitulare Carisiacense, in: Capitularia regum Francorum II, *MGH* II, c. 3, p. 344.

6 ولد أنسجيسوس قرب عام 770، لأبوين نبيلين. ولحق راهبا بدير فونتانيل Fontanelle الواقع في روان، وهو لم يتجاوز الثامنة عشرة. وقد ذاعت شهرته كرجل دين مثقف ذو باع كبير في التعليم، حتى عهد إليه شارلمان برئاسة دير فلاي Flay في بوفيه، وجعله أيضا مشرفاً على الأعمال الملكية تحت توجيه أينهارد. كما حظي أنسيجيسوس بتقدير لويس التقي، فعينه رئيسا على دير ليكسوي Luxeuil في عام 817، ثم على دير فونتانيل في عام 823م. كانت لأنسجيسوس جهودا مشهودة في استعادة الحماسة الرهبانية في الأديرة التي ترأسها. كما أثمرت جهوده عن إثراء مكتبة دير فونتانيل حتى صارت من أشهر المكتبات الكارولنجية. على أن أهم إنجازات أنسجيسوس كان جمع "القوانين والمراسيم" المنسوبة لشارلمان وولده لويس التقي إلى عام 827م، وذلك في أربعة كتب بعنوان "*Quatuor libri Capitularium Regum Francorum*". احتوى الكتابان الأول والثاني على "القوانين" المتعلقة بشؤون الكنيسة، بينما اشتمل الكتابان الثالث والرابع على "القوانين" الخاصة بشؤون الدولة. انظر: Ansegisi Capitularium, praef; Sigeberti, Chronica, *MGH SS*, VI, p. 338.

غيرها، يتوجب عليه إعلان الناس والكونتات الآخرين بجرائم هذا اللص، حتى لا يستقبلوه. فإذا تستّر عليه يلزم بدفع غرامة خمس عشرة صوليدي. وإذا كان المتستر عبدا يجلد مائة وعشرين جلدة"[1]. وتم تأكيد هذه المادة في مراسيم شارل الأصلع، رادًّا تقرير مصير السارق إلى الملك[2]. وربما مثّلت هذه المادة كسرا للعقوبة التي كان شارلمان قد فرضها متأثرا بالقوانين اللمباردية، والتي كانت تصعد بعقوبة السارق من تشويه جسده وصولاً إلى إعدامه[3].

ولكن هذه العقوبات ما كانت لتجد واقعا تطبيقيا ملموسا إلّا مع دولة قوية متماسكة النظم والأركان، الأمر الذي افتقدته الدولة الكارولنجية منذ السنوات الأخيرة من عهد لويس التقي. يظهر دليل ذلك واضحا في رسالة رفعها رئيس دير فولدا Fulda إلى هذا الأخير عام 840م يشكو من تعديات قاطع طريق يدعى سيجبرت Sigebert وجماعته الذين روعوا نزلاء الدير وسائر المنطقة المحيطة. وقد ناشد رئيس الدير الإمبراطور بصفته أعلى القضاة أن يرفع الظلم ويحق العدل. ولكن لويس – الذي كان يعيش أسوأ أيامه بسبب ثورات أولاده– التزم الصمت[4].

وفي رسالة بعث بها راهب غالي هو لوبوس الفيريري Lupus Servatus of Ferrières إلى أحد أصدقائه الذي من المفترض أن يزوره حوالي العام 856م، أوضح مدى الخوف الذي لحق بالناس من قُطّاع الطرق، ونصح صديقه: "**بأن يسلك ما استطاع طريقًا آمنًا، حتى يتجنّب اللصوص الذين باتوا يسطون على الناس دون خشية العقوبة. وكانوا يختبؤون في أراضي الإقطاعيين الذين حصلوا على صلاحيات بعدم تدخل القوات الملكية في إقطاعاتهم**"[5]. هنا يلمح لوبوس إلى أن اللصوص استتروا بحماية غير مباشرة من السادة الإقطاعيين.

ويشير مرسوم للويس الثاني Louis II ملك إيطاليا (855– 875م) إلى أن اللصوصية ازدهرت في إيطاليا بتواطؤ من الكونتات والضباط الملكيين. وأن نفوذ الأرستقراطيين العلمانيين فضلاً عن صعود الأرستقراطيين الكنسيين كانا عاملين مساعدين على استشراء اللصوصية وانتشار قطاع الطرق، لأن مصالح هؤلاء اقتضت الحفاظ على أملاكهم بتقاسم الغنيمة مع اللصوص[6]. مما يعني أن تغلغل الإقطاع كان محفزا على استشراء اللصوصية. وذلك بوجه

---

1 Hludowici et Hlotharii Capitularia, Libri III, no. 49, 50, p. 306, et Ansegisi Capitularium Libri III, no. 49, 50, p. 431. Cf. Leges Langobardorum: Liber Papiensis Pippini, no. 41 (1), p. 521.

2 Karoli II. Capitularia, 853 ad, in: Rerum Germanicarum I, *MGH*, III, c. 5, p. 424.

3 Ibid, c. 4, p. 424; Liber Papiensis Pippini, no. 41 (3), p. 521.

4 Appendix ad Hrabanum, in: Epistolae Karolini aevi, III, *MGH*, V, no. 5, p. 518.

5 See: *Servati Lupi Epistulae*, ed. P. Marshall, Leipzig, 1984, no. 104, pp. 101- 102.

6 Capitulare Papiense, in: Capitularia regum Francorum, *MGH* II: I, c. 3, p. 86.

عام يساير الفرضية التي طرحها ريتشارد سلاتا Slatta وأيدته فيها دانيال كويل Coyle، من أن قُطّاع الطرق يجب أن يتلقوا دعما من كبارٍ في المجتمع– النخبة كما يصفهم سلاتا، والنبلاء كما تصفهم كويل– يضمن لهم البقاء، والنجاة من الملاحقة القضائية[1].

وللحق كانت سنوات النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي هي الأسوأ في عمر الدولة الكارولنجية، لما شهدته من تفكك، وتناحر بين حكامها. وما حلَّ بها من كوارث اقتصادية، نتيجة تغلغل الإقطاع في جنبات الدولة، وأخرى عسكرية نتيجة الغزوات الخارجية التي كان أهمها غزوات المجيار والفيكنج، وكل ذلك مثّل مناخا ملائما لانتشار قطاع الطرق وتفشّي اللصوصية[2]. وقد بلغ من نفوذ بعض الإقطاعيين أن تسلّطوا على الراغبين في السفر بقصد زيارة الأماكن المقدسة، وابتزوا أموالاً منهم[3]. وهذا الأمر بدأ منذ نهاية عهد شارلمان نفسه، حيث ورد في مرسومٍ له سنة 813م: "**إن بعض الرجال الأقوياء يكسبون الكثير من فرض الضرائب على المسافرين إلى روما أو إلى مدينة تور Tours، هم يفعلون ذلك من باب الطمع... ويستغلّون الكهنة والشمامسة وغيرهم من رجال الدين والفقراء الذين يخاطرون بأنفسهم في سفر طويل، لزيارة كنيسة أو مكان مقدّس، كما أنّهم يغرون المدعين والمتسولين لقطع مثل هذه الرحلات... إن الإمبراطور ينظر بقلقٍ إلى هذه الانتهاكات، وينتظر تصحيحها**"[4].

ومع ذلك فشل الكارلونجيون في استئصال هذه الممارسات التي بقيت إلى سنوات متأخرة؛ فيظهر مرسوم أصدره واليران الثالث دو ميولان Waleran III de Meulan كونت فيكامب Fécamp (1005– 1069م) في شمال فرنسا أنه فرض على المسافرين عبر قلعته مشيا على الأقدام أن يدفعوا ضريبة مرور، واستثنى من ذلك فقط الرهبان[5]. وتعلّق إليانور سيرل Searle على هذا الإجراء بأنه كان إلى السرقة، أقرب منه إلى تحصيل مورد حكومي[6].

---

1 Slatta, Bandits and Rural Social History, p. 147; Coyle, The Outlaws …, p. 57.

2 Riché, *Daily Life in the World of Charlemagne*, p. 252; Goalwin, Bandits, Militants, and Martyrs, p. 454; Reuter, The Insecurity of Travel in the Early and High Middle Ages, p. 50.

3 Webb, *Pilgrims and Pilgrimage in the Medieval West*, p. 14.

4 Concilium Cabilonensis, in: Concilia aevi Karolini, *MGH* III, c. 45, pp. 282- 283.

5 *Recueil des actes des ducs de Normandie de 911 à 1066*, ed. Marie Fauroux, Caen: Société d'impressions Caron, 1961, no. 25.

6 Searle, Eleanor, *Predatory Kinship and the Creation of Norman Power, 840- 1066,* Berkeley: University of California Press, 1988, p. 131.

وقد تبع ذلك أن برزت ظاهرة جديدة على المسرح السياسي العسكري، وهي ارتزاق قطاع الطرق، الذين أقبلوا يعرضون خدماتهم على السادة الإقطاعيين، ودفعوا الرشى إلى حراس بوابات المدن، ليتغافلوا عنهم. وقد شاع ذلك في الربع الأخير من القرن التاسع الميلادي حسبما يفهم من رواية ليوتبراند الكريموني Liutprand of Cremona (ت 972م)[1]. وقد واصل اللصوص سرقاتهم، مستظلين بحماية الكبار. بل وتجاوز بهم الأمر إلى أن حصلوا على أموال منهم مقابل تنفيذ جرائم قتل[2]. ويفهم من رواية هنكمار الريمسي Hincmar of Rheims (ت 882م) أن القادة الكارولنجيين استعانوا باللصوص في الحروب الداخلية المشتعلة بينهم، مثلما حدث في ألمانيا سنة 879م[3]. وتطّور هذا الأمر ليصل إلى تجنيدهم في الجيش؛ فحسب رواية فيدكوند الكورفي Widukind of Corvey منح هنري كونت ساكسونيا عام 936م لقطّاع الطرق في ميرسبورج Merseburg عفوا عاما من جرائمهم، وصنع منهم فرقة عسكرية[4].

ورغم ما ينطوي عليه هذا الأمر من مجازفة، حيث يؤدي إلى إدراج جماعات مارقة في الجيش، ويمهد لها تهديد السلم المجتمعي بشكل أكثر خطورة، غير أن سلوك الإقطاعيين هذا المسلك كان لعجزهم عن حشد فرق عسكرية كافية، في حقبة غلبت عليها الفوضى والحروب إثر تفكك الدولة الكارولنجية منذ نهايات القرن التاسع الميلادي[5].

وربما كان فشل الكارولنجيين في استئصال مشكلة اللصوصية دافعا لأن يسلكوا طريق الملاينة، وأن يشجعوا اللصوص على التوبة. فأعلن لويس التقي في مجمع إنجلهيم

---

1 See: Antapodosis, in: *Liudprand's Embassy to Constantinople and Other Writings*, trans. F. Wright, London; Vermont, 1993, B. 1, 11, pp. 12- 15.

رغم أن ليوتبراند جعل من القسطنطينية زمن الإمبراطور ليو الحكيم (886– 912م) محلا لروايته، غير أن ذلك لم يثبت تاريخيا. ولا يستبعد الباحث أن هذا الكاتب فرض روايته كإسقاط على ما يحدث من فساد في الغرب الأوربي. خصوصا وأن مؤرخ مثل جون جوليوس نورفيتش Norwich يرى أن سرديات ليوتبراند كانت إلى الطرافة وحس الفكاهة أقرب منها إلى التأريخ. راجع: Ibid, intro. esp. xiv- xv

2 Riché, *Daily Life*, p. 253; Coyle, The Outlaws of Medieval England, p. 57.

3 Annales de St. Bertin, dans: *Annales de l'Europe carolingienne (840- 903)*, trad. F. Guizot, Paris: Paleo, 2002, p. 212. Cf. *The Annals of Fulda*, vol. 2, trans. T. Reuter, Manchester; New York: Manchester University Press, 1992, p. 87. For more details See: Nelson, Janet, "One Hincmar of Reims on King-making: The Evidence of the Annals of St. Bertin, 861- 882," in: János Bak (ed.), *Coronations: Medieval and Early Modern Monarchic Ritual*, Berkeley, Los Angeles and Oxford: University of California Press, 1990, p. 22.

4 *Deeds of The Saxons*, II, p. 66; *Annalista Saxo*, pp. 599- 600.

5 حول هذه النقطة من المناسب الرجوع إلى: محمد، محمد دسوقي، "الفرق المأجورة في جنوب فرنسا (1360– 1370م)"، *مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المصرية* 1/11 (2021)، ص 269– 271.

Ingelheim عام 840م أن "**اللص الذي ليس بميتٍ ولا حي بسبب رذائله المقيتة، تكون مقاليد تحريره من ظلمات آثامه بيد الأساقفة حملة الرحمة الإلهية**"[1]. كما ورد في مراسيم شارل الأصلع سنتي (854م، 873م) "**أن اللص الذي يتوب عن جرائمه، لا يدينه أحد، ولا ينبغي لأحد أن يلاحقه قانونيا**"[2]. بل ولجأ الكارولنجيون إلى الجهود الذاتية لتعويض ضعفهم السياسي والعسكري؛ فقد التمس شارل الأصلع من مجلس عقد في سيرفيه Servais سنة 853م حشد الجهود لقمع اللصوص. واقترح تشكيل مقاومة محلية، لكبح جماحهم[3]. ثم منح عام 873م الأساقفة ورؤساء الأديرة فضلاً عن الكونتات صلاحية مطاردة قطاع الطرق والقبض عليهم، بل وقتلهم إن لزم الأمر[4].

وقد بذل هؤلاء مساعيهم لحظر تداول الأسلحة في الطرق التي كانت تستقبل المسافرين[5]. ولكنهم واجهوا في سبيل ذلك العنت والمشقة، وذلك أن المسافرين أنفسهم كانوا يحملون الأسلحة للدفاع عن أنفسهم إذا اقتضهم الضرورة إلى ذلك[6].

وحاول الكارولنجيون من ناحية أخرى التضييق على اللصوص معيشيا، وذلك بتتبع السلع والأسلاب التي يسرقونها، والحيلولة دون تداولها أو بيعها. وعليه راقبوا الأسواق بدقة، وفرضوا ضوابطاً على بيع الخيول والماشية. وقد اعتمدوا في ذلك على أصول في القوانين اللمباردية. فورد مثلاً: "**أن الذي يسرق حصانه يجب أن يخطر القاضي بالمكان حيث تمت السرقة. ثم يراقب السوق، فإذا كان ثمة حصان قيد البيع يجب أن يتم بيعه في العلن، وأن يعرض من قبل شخصين معروفين على الأقل. وإذا ادعى أحد ملكيته لحصان معروض للبيع بداعي أنه قد سرق منه، فيجب عليه إحضار شهود ثقات، ورفع الأمر إلى القاضي**"[7].

---

1 Concilium Ingelheimense, in: Concilia II, Concilia Aevi Karolini I: II, *MGH* III, c. 5, 27, p. 802.

2 Capitulare missorum Attiniacense, c. 7, p. 278; Karoli II. Conventus Attiniacense, in: Capitularia regum Francorum I, *MGH* II, c. 7, p. 429; Karoli II. Capitularia, 873 ad, in: Rerum Germanicarum medii aevi I, *MGH* III, c. 3, p. 519.

3 Riché, *Daily Life in the World of Charlemagne*, p. 253.

4 Karoli II. Capitularia, in: Rerum Germanicarum medii I, *MGH* III, c. 2, p. 519.

5 Ansegisi Capitularium Libri III (Hludowici et Hlotharii Capitularia), in: *MGH*, III: I, no. 4, p. 301.

6 Reuter, The Insecurity of Travel in the Early and High Middle Ages, p. 64.

7 Liber Papiensis Liutprandi, Leges Langobardorum, in: Rerum Germanicarum medii aevi IV, *MGH* IV, no. 78- 80, p. 442.

وبالمثل حرص الكارولنجيون على تتبع المسروقات الكنسية مثل المنسوخات النادرة، والمنسوجات المطرزة عالية القيمة، وذلك في محاولة لمحاصرة اللصوص وعزلهم. ولكن هؤلاء تغلبوا على ذلك أيضا باستبدال مسروقاتهم بسلع أخرى، أو بيعها بأثمان زهيدة[1].

اللصوصية والمؤسسة الدينية:

كانت الكنيسة الغربية قسيما سلطويا للكارولنجيين في إدارة الدولة، وأسهمت بنصيب في صناعة القوانين الكارولنجية، ولا عجب في أن يهدي البابا هادريان الأول Hadrian I(772–795م) إلى شارلمان المجموعة القانونية المعروفة باسم *Dionysio-Hadriana*، وذلك غداة اقتحامه بافيا Pavia 774م، وتقويضه مملكة اللمبارديين، وهي المجموعة التي بنى عليها شارلمان حزمته القانونية المعروفة باسم *Admonitio generalis* التي أصدرها سنة 789م[2]، وكانت تحوي مجمل مراسيمه وتوجيهاته الإدارية إلى أقطاب دولته: كنسيين وعلمانيين[3]. وقد أكّد فرانسوا بوجار Bougard أن حرص الحكام الكارولنجيين على تطبيق العدالة كان نابعا من قناعتهم الدينية بخدمة الرعية "قطيع الرب"، لذلك اختلط في أذهانهم مفهوم خدمة الدولة وحماية المجتمع بمفهوم خدمة الله وحسن طاعته. ولا غرو أن السادة العلمانيين تعاونوا مع رجال الدين في سبيل تطبيق القانون، ورعاية المجتمع وحمايته[4].

ولا ريب أن الرهبنة والترحال التبشيري منذ أوائل العصور الوسطى كانوا بواعثاً للسفر إلى أماكن العبادة الدينية، ومحفزات لزيارة أضرحة القديسين. الأمر الذي جعل البعض يقرر أن المسيحية كانت القوة الدافعة للسياحة الأولية في أوربا بواكير العصور الوسطى[5]. وكانت إيطاليا مقصدا رئيسا للحجاج، لما حوته من مزارات وأضرحة مقدسة، فضلاً عن روما قبلة العالم المسيحي. وقد سلك المسافرون إلى إيطاليا عبر طُرق معروفة منذ أيام الرومان، وهي التي شهدت نزلاً وأماكنا تقوم على خدمة المسافرين. وكان طريق فرانسيجينا *Via francigena* من أهم هذه الطرق، وهو يقود المسافرين من شمال غرب أوربا إلى روما. واعتاد المسافرون أيضا استخدام ممرات مونت سينيس *Mont Cenis* ومونت جو *Mont Joux* (*Mons Jovis*) وهو الذي حمل لاحقًا اسم القديس برنارد، وتميز باحتضانه دارا للضيافة كان قد أقامه الإمبراطور

---

1 Reuter, The Insecurity of Travel in the Early and High Middle Ages, p. 62.

2 See: McKitterick, "Knowledge of Canon Law in the Frankish Kingdoms", 98- 99.

3 McKitterick, *Charlemagne*, p. 219.

4 *La justice dans le royaume d'Italie*, p. 19.

5 Godlewski, Piotr; Skalski, Dariusz and Mruczyk, Robert, "The Dangers of Travel– Banditry on the Roads in the Old Days", *Baltic Journal of Health and Physical Activity* 13/ 6 (2021), p. 196.

لويس التقي في مستهل سنوات حكمه. ثم من بياتشنزا Piacenza في شمال إيطاليا كان المسافرون يأخذون معبر إيميليا *Via Emilia* المعروف أيضا باسم *Strata Claudia* والذي كان مأهولاً ويفضي إلى نهر بو Po، وأقيم عليه منذ القرن الثامن نزل أيرلندي لاستقبال المسافرين[1].

وكانت ممرات جبال الألب الرابطة بين إيطاليا وألمانيا وغالة هي الشرايين التي تغذي هذه الطرق بالمسافرين. على أن تأمين هذه الممرات كان من أشق المهام على الحكام الكارولنجيين؛ لما عرف عنها من طبيعة جبلية قاسية. وكانت النتيجة الحتمية أنها احتضنت أخطر عصابات قُطّاع الطرق. وقد أكّد والتر هايد Hyde أن هذه الممرات لم تلق الرعاية الكافية منذ تفكك الإمبراطورية الرومانية، فأصبحت تغص باللصوص. ولذلك كان المارين عبرها في الحقبة الكارولنجية من الحجاج ورجال الدين فرائس سهلة المنال لهؤلاء اللصوص[2].

وتوجد أمثلة كثيرة على الحجاج الذين قتلوا أثناء ارتحالهم. ولكن هذه الأمثلة من وجه آخر أعطت قيمة لحياة القتلى، وجعلت من بعضهم شهداء وأيقونات دينية مجتمعية؛ مثل: ديسيدريوس Desiderius وريجنفريد Reginfrid، اللذان قُتلا في مطلع القرن الثامن الميلادي على أيدي قطاع الطرق، وتقدسا، وصار لهما مزارين شهيرين في شرقي غالة– أعلى سويسرا– في الموضع الذي قُتلا فيه[3]. وميروليلان Merolilan وهو حاج أيرلندي قتله قطاع الطرق في القرن الثامن الميلادي على ضفاف نهر "إين" Aisne. وقد نقلت رفاته إلى كنيسة ريمس سنة 935م، وتقدس هناك، وذلك إثر رؤية تجسد فيها هذا الشهيد لراهب ريمسي، وقصَّ عليه مأساته[4].

وجدير بالذكر أن مسألة تأمين ممرات الألب ظلّت مشكلة تؤرق الكارولنجيين حتى القرن العاشر الميلادي. ويعكس مرسوم أصدره لويس الثاني في مدينة بافيا Pavia عام 850م مدى خطورة هذه المشكلة، جاء فيه: "**تما إلى علمنا أن عصابات قُطّاع الطرق *Collecti latrones* تعترض قُصاد روما، أو المسافرين في أرجاء مملكتنا سعيا وراء العمل، فتنهب مقتنياتهم، وأحيانًا تصيبهم بالجراح أو تقتلهم. ولذلك نوجه الكونتات ونوابهم *sculdassi*– بالتعاون مع الأساقفة إذا لزم الأمر– أن يتصدوا لهؤلاء اللصوص، وأن يقبضوا عليهم**

---

1 Webb, *Pilgrims and Pilgrimage in the Medieval West*, p. 18.

2 "The Alps in History", *Proceedings of the American Philosophical Society* 75/6 (1935), pp. 438- 439.

3 Passio Desiderii et Reginfridi martyrum Alsegaudiensium, in: *MGH scriptorum rerum merovingicarum*, vol. VI, p. 53.

4 Flodoard, *Histoire de l'église de Reims*, vol. 2, Liv. IV: 48, pp. 618- 619.

ويحاكموهم، وأن يوقعوا بهم العقوبة التي ينص عليها القانون دون تهاون، حتّى يتم تطهير مملكتنا من هؤلاء المجرمين، وحتّى يأمن التجار والحجاج القاصدون إلى مملكتنا"[1].

على أن ذلك لم يأت بنتيجة ذات بال، ولم يلبث أن اتسع لفظ قُطّاع الطرق المتحكمين في ممرات الألب ليشمل المسلمين القادمين من قاعدتهم البروفانسية: فراكسينتوم Fraxinet، والذين أمكنهم في القرن العاشر الميلادي أن يتحكّموا في الممرات الرابطة بين غالة وإيطاليا، وأن يفرضوا على المسافرين إتاوات. وقد أضفت المصادر الغربية عليهم خلالاً قاتمة؛ فذكر راؤول جلابيه Raoul Glaber أنهم اعتادوا نهب المناطق المحيطة[2]. ووصفهم فلودوارد Flodoard الريمسي عام 921م بالقتلة الذين يقطعون طريق الحجاج ويهددون حياتهم[3]. على أن فلودوارد نفسه في موضع آخر أكّد أن المسلمين ونتيجة تحكمهم في ممرات الألب كانوا يكتفون بتحصيل إتاوة من العابرين، ليسمحوا لهم ببلوغ روما[4]. وهذه الرواية تجعل ظلال الريبة تخيم على إشاراته الأولى عن قتل المسلمين للمارين عبر الألب، لأنّهم إذا كانوا سيحصلون على المال فلماذا يقتلون؟ إلّا أن هذا لم يمنع جان بيير بولي Poly من أن ينعتهم بلفظ Les pillards الذي يعني قطّاع الطرق أو اللصوص النهابين[5].

---

1 Hludowici II. Capitulare Papiense, in: Capitularia regum Francorum, *MGH* II: 1, c. 1, p. 86. Cf. Ottoni I: Liber Papiensis, Leges Langobardorum addito, in: *MGH*, III: IV, no. 6, p. 578. وعن النواب *sculdassi* فهم كانوا يتولون المهام الشرطية. وربما يعود أصل وظيفتهم إلى منصب قائد المائة *centenaries* الذي يرجع إلى حقبة الميروفنجيين، وكان مساعدا للكونت في حفظ الأمن، ومطاردة اللصوص. ولم يستبعد المؤرخ ألكسندر **موراي**Murray بقاء هذا المنصب إلى زمن الكارولنجيين. راجع: "From Roman to Frankish Gaul: 'Centenarii' and 'Centenae' in the Administration of the Merovingian Kingdom", *Traditio* 44 (1988), p. 59; idem, "Immunity, Nobility, and the Edict of Paris", *Speculum* 69/1 (1994), pp. 32, 35.

2 *Histoires*, I, IV: 8 ولد راؤول في برجنديا 985 م، والتحق بالدير في عمر الثانية عشر، ولكنه طُرد بسبب شغبه. أمضى حياته متجولا؛ فزار إيطاليا، ثم تنقّل بين أديرة فرنسا. وحين ألف تواريخه في كتب خمسة، جعلها بين سنتي 900– 1044م، وأهداها إلى أوديلو Odilo رئيس دير كلوني (ت 1049م). والحقيقة أن رواياته تعرضت لنقد قاس من المحدثين؛ كونها مختصرة، ويغلب على كثير منها السذاجة والسطحية، وأنه لم يراع فيها الدقة المكانيّة والزّمانية. ومع هذا لا يعدم كتابه أهمية كونه معاصرا أو قريب عهد من الأحداث التي ذكرها. انظر: Ibid, intro.

3 *Les Annales de Flodoard*, ed. Ph. Lauer, Paris, 1905, pp. 5, 44- 45, 65, 74.

4 *Les Annales de Flodoard*, p. 132.

5 See: *La Provence et la société féodale: 879- 1166, contribution à l'étude des structures dites féodales dans le Midi*, Paris: Bordas, 1972, p. 13.

ومع ذلك فإن بروز المسلمين في المصادر الأوربية كقُطّاع طرق يمكن إرجاعه إلى محركات دينية، وليس إلى الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي عدت دوافع أصيلة لظهور اللصوصية داخل المجتمعات الأوربية. وهذا يدفعنا إلى الأخذ في الاعتبار جدلية برنت شو Shaw وجريجوري جولوين Goalwin التي خلصت إلى أن الخلاف العقدي الذي يفضي إلى ميلاد جماعة مضطهدة، لهو مبرر كاف لبروز اللصوصية وقطع الطريق. أي أن البداية قد تأتي من محرك أيديولوجي، ولكن ما تلبث أن تتحول إلى دوافع اجتماعية اقتصادية[1].

كما أن بعض سير الحجاج تخالف السياق العام الذي قدم المسلمين في صورة وحشية غير مقبولة، وتظهرهم في صورة آدميين ينقصهم شيء من التعاطف. ففي سيرة النبيل جيرالد (جيرو) الأورياكي Géraud d'Aurillac (ت 909م): "**أنّه خلال زياراته المتكررة إلى روما، وعلى طول طريق سفره كان يظهر كل صنوف الكرم والعطاء. وكان الناس يترقّبون قدومه، ويسارعون إلى خدمته، حتى أنّ المسلمين *Maurus* – المتحكمين في مسالك الألب– حملوا أمتعته عبر ممر جوفينوس *montis Jovina* (الذي عرف أيضًا باسم القديس برنارد)**"[2].

وزيادة على ما سبق فإن لصوصية جبال الألب لم تقتصر على المسلمين، إذا جاز التعبير، حيث تفيد رواية لـ فلودوارد نفسه أن رودبرتوس Rodbertus رئيس أساقفة مدينة تور Tours حين كان ورفاقه في طريق العودة من روما سنة 931م قُتلوا وهم نيام في خيامهم، على أيدي قطاع الطرق *latronibus*، دون أن يحدد جنسهم[3]. وكان من فظاعة هذه الجريمة، أن علّق تيموثي رويتر Reuter بقوله: "إن الجرائم التي ارتكبها لصوص العصور الوسطى الباكرة كانت أكثر بشاعة من جرائم لصوص القرون اللاحقة"[4]. ويبدو أن مشكلة قطع الطريق ظلّت قائمة في إيطاليا حتى نهاية القرن العاشر الميلادي، إذ كانت من الأولويات التي تصدّى لها الإمبراطور أوتو الثالث Otton III (983– 1002م)[5].

---

1 See: Shaw, Brent, *Sacred Violence: African Christians and Sectarian Hatred in the Age of Augustine*, Cambridge, New York: Cambridge University Press, 2011, pp. 632- 633 ff; Goalwin, Gregory, "Bandits, Militants, and Martyrs: Sub-state Violence as Claim to Authority in Late Antique North Africa", *The Journal of Historical Sociology* 34/3 (2021), pp. 452- 465.

2 Odonis A. Cluniacensis, De Vita S. Geraldi Auriliacensis comitis, *P L*, vol. 133, cols. 639- 703 esp. 680.

3 *Les Annales de Flodoard*, p. 48.

4 The Insecurity of Travel in the Early and High Middle Ages, p. 63.

5 See: Theoderic de Nieheim, Cronica, *MGH (500- 1500)*, Stuttgart, 1980, p. 230.

وليس من شك أن المؤسسة الدينية قد تحملت نصيبها في مكافحة ظاهرة اللصوصية، فلم تتردد في إلحاق صفات باللصوص من شأنها إظهارهم في صورة المارقين عن المسيحية. وقد ظهر أثر ذلك في المجامع التي ترأسها الكارولنجيون منذ عهد شارلمان[1]، الذي وصف في مجلس عقد بآخن Aachen عام 809م اللصوص بالكفار *De latronibus qui magnam habent blasphemiam*، وشجع الناس للقبض عليهم، عادا ذلك من أهم الأعمال التي تقرب إلى الله[2]. كما أكّد في توجيهات إلى مبعوثيه على تكفير اللصوص، وحذّر من إيوائهم ولو كانوا ذوي قرابة، **وإلّا يدان من يأويهم بصفتي اللصوصية والكفر أيضا**[3]. مما يشير إلى أن التحريض ضد اللصوص اتخذ عند الكارولنجيين سمتا أيديولوجيا.

وغدا تكفير اللصوص منذئذ أمرا اعتياديا، فورد في المجموعة القانونية والكنسية التي صنفها الأب الديري أنسجيسوس Ansegisus وصف اللصوص بأشد عبارات التكفير[4]. وأكّد على التحذير الشارلماني: "**من ثبت عليه أنّه أوى لصا، ولو كان أبوه أو أخوه أو قريبه، فدعه يعلم أنّه لن يكون لصا مثله وحسب، بل وكافرا مثله أيضا**"[5]، منوها بضرورة القبض عليهم، وتسليمهم إلى العدالة، حسبما وجه شارلمان[6].

ولا جدال أن تكفير اللصوص كان يصب في مصلحة رجال الدين بقدر ما يفيد السلطة العلمانية، حيث أن ذلك من شأنه أن يجعل المؤسسة الدينية واتباعها بمنأى عن أيدي هذه الجماعات. ولذلك وردت تحذيرات صريحة في القوانين الكارولنجية– كنسية كانت أم علمانية– أن الكنيسة لا تستقبل لصا فارًّا، وألّا تقدم له طعاما أو شرابا، لأنّه ملعون وكافر[7].

---

1 تراوحت هذه المجامع بين عامي 768– 813 م، وكان أبرزها مجمع آخن المشار إليه في المتن، ومجامع الإصلاح عام 813 م التي عقدت بمدن: آرل وتور وريمس وشالون وماينز، لما حوته من مواد دستورية. انظر: McKitterick, *Charlemagne*, pp. 235- 237 ff.

2 Karoli Magni: Capitulare Aquisgranense, in: *MGH* I, c. 10, p. 163; Capitulare missorum Aquisgranense primus, Capitularia regum Francorum I, *MGH* II: 1, c. 11, p. 153; Capitulare missorum Aquisgranense secundum, in: Ibid, c. 16, p. 154.

3 Karoli Magni: Capitula per Missos Cognita facienda 803- 813 ad, Capitularia regum Francorum I, *MGH* II: I, c. 2, p. 156; Capitulare Aquense 806 ad, in: *MGH* III, I, c. 2, p. 146.

4 Collecti capitularium Ansegisi, in: *MGH* II, no. 61, p. 600.

5 Ibid, no. 23, p. 582.

6 Ansegisi Capitularium Libri III (Hludowici et Hlotharii Capitularia), in: *MGH*, III: I, no. 61, p. 307.

7 Karoli Magni: Capitulare Francicum et Langobardicum, in: *MGH* III, I, no. 11, 9, p. 37; Benedicti Capitularia, in: Rerum Germanicarum medii aevi II: 2, *MGH*, IV, lib. 1, c. 195, p. 55.

كما أن الكنيسة أغلظت في تهديد اللصوص ليس بعقوبة أخروية اعتيادية كاللعن والتكفير والحرمان من رحمة الرب، بل وأقرت عقوبة الإعدام، تماما كما فرضتها السلطة العلمانية. جاء دليل ذلك من مجلس عقد في تريبور Trebur سنة 895م، حيث ورد: "**أن قطاع الطرق الذين يخفون براثن الذئب تحت جلد الحمل الوديع يقلقون راحة كنيسة الرب، ويهددون السلام الأخوي بين المسيحيين. إن هؤلاء إذا لم يتوبوا ويرجعوا عن شرورهم وإلحاقهم الأذى بأمهم الكنيسة، فسوف يعدون هراطقة. وعليه تكون عقوبة الموت هي المكافئة لأعمالهم الشيطانية... ولن يصلّى من أجلهم، ولن تقبل صدقات على أرواحهم**"[1]. كما أدانت الكنيسة الكونتات الذين كانوا يواطئون اللصوص، فنعتتهم بالمسيحيين الأشرار: "**الذين يؤذون الكنيسة، ولا يختلفون عن سواهم من اللصوص**"[2].

وبشأن الإدلاء بالشهادة عن اللصوص فإن شهادة الأسقف أو رجل الدين كانت تؤخذ في الحسبان. ولو كانت شهادته لسبب واهٍ، وثبت أنّها بقصد تطبيق العدالة، فإنه لا يؤاخذ بها، **وتحسب بلا خطية**[3].

ولكن ذلك لم يحل دون استمرار اللصوصية، فجاء في خطاب للبابا يوحنا الثامن John VIII (872– 882م) أنه وعدد من الأساقفة سرقت خيولهم في بلدة كافايون Cavaillon قرب بروفانس، وذلك في أغسطس 878م حين كانوا في زيارة إلى غالة. وقد تألّم البابا لما حدث، وعدَّه جريمة نكراء تغضب السماء. وهدد فاعليها ومن عاونهم باللعن والحرمان الكنسي، إذا لم يعيدوا المسروقات خلال ثلاثة أيام[4].

وفوق ذلك كانت الكنائس والأديرة التي أثرت ثراء فاحشا مطمعا للصوص، وكانت ممارسات رجال الدين مشجعة للسطو على المؤسسات الدينية. فقد شهد القرنان التاسع والعاشر الميلاديين اختلاطاً شديدا في المفاهيم بين ما يعتبره رجال الدين حقا مكتسبا لا تثريب حوله، كاستخدام الأملاك الديرية، واستلاب خيراتها، وبين ما تسعى إليه النصوص الدينية والقوانين المدنية لتحريم

---

1 Concilium Triburiense, in: Capitularia regum Francorum, *MGH* II, cap. 31, p. 231.

2 Fichtenau, Heinrich, *Living in the Tenth Century: Mentalities and Social Orders*, trans. P. Geary, Chicago: University of Chicago Press, 1991, pp. 383- 385.

3 Karoli Magni: Capitulare Haristallense 779 ad, *MGH* II, c. 11, p. 49; Capitulare Karoli Magni 779 ad, *MGH* III, I, no. 12, p. 38; Additiones ad Librum Legis Langobardorum Papiensem dictum, I, in: *MGH scriptorum rerum merovingicarum*, VI, no. 1, p. 586. Cf. Capitularia Spuria: Benidicti Capitularium additio Lib. I, no. 197, p. 56; Lib. IV, no. 130, p. 155.

4 See: Epistolae, in: Epistolae Karolini aevi V, *MGH*, VII, no. 143, p. 123.

ذلك. وقد تجاوز هؤلاء هذه النصوص والقوانين، وطوعوا مقابلها لصالحهم عادات وتقاليد محلية، توافق الأسس الإقطاعية[1].

ثم أن المغالاة في تزيين الكنائس كانت إغراء للصوص؛ ففي الرواية المنسوبة إلى أدريفالد الفلوري Adrevald of Fleury، كانت البازيليكيا المقامة في فلوري على شرف القديس بندكت St. Benedict عامرة بالمحتويات الذهبية والفضية، وقد نجح اللصوص عام 832م في نقب جدارها، وسرقوا هذه المحتويات[2]. وحسب رواية فلودوارد الريمسي كان الصليب الكبير في كنيسة نوتردام Notre dame بمدينة ريمس Reims مغطى بالذهب والأحجار الكريمة، مما أغرى اللصوص بسرقته عام 941م[3]. وقرب هذا التاريخ نهب اللصوص كنيسة مدينة وورمز، حسب ما جاء في سيرة الأسقف بوركارد الوورمزي Burchard of Worms (ت 1025م)[4]. وانتشروا أيضا في لوثرنجيا Lotharingia مهددين الكنائس والأديرة، حتى تكبد الأوتونيون العنت والمشقة في سبيل القضاء عليهم، وفق ما جاء في تاريخ فيدكوند[5].

وأمام العجز الواضح الذي أبدته السلطات العلمانية في التصدي للصوصية فضلت المؤسسة الدينية إعفاء الحجاج من رحلاتهم بداعي حفظ حيواتهم من قطاع الطرق. وقد سمحت الكنيسة منذ نهاية القرن العاشر الميلادي بدفع بدل مالي عن هذه الرحلات، وأثرت من وراء ذلك ثراء فاحشا، خصوصا في الحقبة الصليبية[6].

---

1 Fichtenau, *Living in the Tenth Century*, pp. 387- 390. See: Rosé, Isabelle, "Tenth- Century Cluny", in: Scott Bruce and Steven Vanderputten (eds.), *A Companion to the Abbey of Cluny in the Middle Ages*, Leiden; Boston: Brill, 2022, pp. 11- 33.

2 See: Ex Adrevaldi Floriacensis Miraculis Sancti Benedicti, in: *MGH SS*, XV: I, 26, p.491 يصنف أدريفالد (ت 878 م) كاتبا هجيوجرافيا، إذ كتب عن القديس أجيلولف Agilulf الليرنسي، وينسب إليه كتاب عن معجزات القديس بندكت النورسي. في الوقت الذي يظن البعض أن عدد من رهبان دير فلوري هم من عكف على كتابة هذا المؤلف. انظر: Ibid, intro.; Les miracles de saint Benoît. Miracula sancti Benedicti, Textes édités, traduits et annotés par A. Davril, A. Dufour, et G. Labory, *Sources d'histoire médiévale* 45 (2019), intro.

3 Voir: *Histoire de l'église de Reims*, trad. M. Lejeune, Reims, 1854, vol. 2, lib. IV: 29, p. 541.

4 See: *Vita Burchardi Episcopi*, in: Rerum Germanicarum medii aevi VI, *MGH* VI, p. 835, and English translation in: https:// sourcebooks. fordham. edu/ source/ 1025 burchard-vita.asp.

5 Widukind of Corvey, *Deeds of The Saxons*, trans. B. Bachrach & D. Bachrach, Catholic University of America Press, 2014, 2: 36, p. 95. Cf. *Gesta Episcoporum Cameracensium*, in: Rerum Germanicarum medii aevi VII, *MGH* IX, lib. 1, p. 450; Annalista Saxo,in: Rerum Germanicarum medii aevi VI, *MGH* VIII, p. 605.

6 Reuter, *The Insecurity of Travel in the Early and High Middle Ages*, p. 69.

ثم لجأ رجال الدين إلى الخيال لمغالبة الواقع، فذهبوا يستجدون أطياف القديسين الموتى، ويلتمسون بركاتهم وحمايتهم. وقد ورد في سيرة القديس لاندوالد Landoald (ت نحو 667م) أن قسا سرق حصانه، فما كان منه إلا أن أشعل شمعة لـ سان لاندوالد، ومكث الليل يدعوه. وبالفعل عاد إليه حصانه مع حلول الصباح[1]. وفي سيرة بندكت الأنياني Benedict of Aniane (ت 821م) أنّه فتّش عن حصان سرق من ديره في كورنلمنستر–آخن Kornelimünster، وأعاده بعد أن كلّمه وتعرف عليه، أي كلّم الحصان[2]. وفي السيرة المنسوبة إلى "والا" الكوربي رئيس دير بوبيو Wala of Corbie (ت 836م) ورد "**أن سلطة القساوسة وقدرتهم التي منحتهم السماء توازيان السلطة الزمنية في التصدي للصوص**"[3]. وفي سيرة القديس جيبرت جيمبلو Guibert of Gembloux (ت 962م) حين أسس ديره، "**نهض بصلواته يطهر الأرض من الرذائل، ويتصدى لهجمات اللصوص، حتى صار أشبه بسيف في يد المسيح**"[4]. وفي سيرة جون الجورزي John of Gorze (ت 974م) أنه كان يسافر في مسالك مليئة بقطاع الطرق، وهو أمن مرتكن إلى حماية القديس بندكت[5]. وغير ذلك من شواهد تعكس كيف تمسك رجال الدين بأهداب الخيال، وكيف اعتقدوا في المعجزات كحل لمواجهة اللصوصية. وهذا الأمر في نهاية المطاف كان بمثابة مقاومة مجتمعية لواقع مرير تولّد عن ضعف السلطات الكارولنجية في كبح اللصوص، وتراخيها عن تطبيق القوانين وتفعيل عقوباتها.

---

1 Herigero, *Translatio St. Landoaldi*, 668 ad, in: *MGH SS*, XV: II, p. 606.

2 Ardonis, *Benedicti abbatis Anianensis*, *MGH SS* XV: I, p. 205.

3 *Ex Vita Walae, 833 ad*, in: Rerum Germanicarum medii aevi II, *MGH*, II, p. 561.

4 *Vita Wicberti*, in: Rerum Germanicarum medii aevi VIII, *MGH*, X, p. 509.

5 *Vita Iohannis Gorziensis*, in: Rerum Germanicarum medii IV, *MGH* VI, p. 367.

الخاتمة Conclusion :

مما سبق يجب الاعتراف أن العدالة الكارولنجية في صورتها المثالية التي نشد شارلمان وخلفاؤه تحقيقها، عجزت عن حسم مشكلة اللصوصية. وكان من اختلاف القوانين الكارولنجية حسب تعاقب الأحداث ما جعل منها إلى الخيال والمثالية أقرب منها إلى الواقعية. وبلغ بها الأمر أن غدت معيارية، على حد توصيف فرانسوا لويه جانشوف Ganshof، نحت نحوا إداريا أكثر منه تشريعيا ضابطًا وملزما.

ويمكن القول إن بقاء اللصوصية كظاهرة مجتمعية في الحقبة الكارولنجية ارتبط بالأحداث الجسام – سياسية وعسكرية واقتصادية– التي ألمت بالدولة في القرن التاسع الميلادي. وجميعها أفرز تفاوتاً وحقدا طبقيا، غلب على مناحي المجتمع الكارولنجي، تزامنا مع تجذّر المنظومة الإقطاعية التي خلّفت مظالم ومفاسد اجتماعية واقتصادية، وأضحى سادتها لصوصا لا يختلفون في كثير عن قُطّاع الطرق.

لم يقتصر اللصوص على الغابة بوصفها مخبأ لهم، كما ذهب عددٌ من الإخباريين ونفر من المحدثين، بل تجاوزوا ذلك إلى مواطن اتخذوها للمعيشة، وأبراجا محصنة، مكثوا يحتمون فيها، ويتصيدون منها فرائسهم من المسافرين. كما أن مسروقاتهم تعددت بين أقمشة ونقود وماشية وخيول، وبلغ بهم الأمر إلى سرقة رفات الأموات وبيعها على أنَها بقايا قديسين.

ولم تكن المؤسسة الدينية بمنأى عن أيدي اللصوص. وذلك لأنَها تورطت في المنظومة الإقطاعية، وأثرت ثراء فاحشًا، وغدت شريكًا سلطويا في عمل السياسة والحكم. فاجتذبت إليها كراهية اللصوص، الذين لم يتورعوا عن قتل الرهبان والحجاج المسافرين، أو اختطافهم وطلب فدية نظير تحريرهم.

قائمة المصادر والمراجع Bibliography

أولًا: المصادر الأجنبية:

- Additiones ad Librum Legis Langobardorum Papiensem dictum, I, in: *MGH scriptorum rerum merovingicarum*, VI.
- Admonitio generalis, in: Capitularia Regum Francorum I, *MGH* II: I.
- Albrici Monachi Trium Fontium, Cronica, in: *MGH*, XXIII.
- Annalista Saxo, in: Rerum Germanicarum medii aevi VI, *MGH* VIII.
- Annales Marbacenses 759- 862 ad, in: Rerum Germanicarum medii aevi XVII, *MGH* XVII.
- Annales de St. Bertin, dans: *Annales de l'Europe carolingienne (840- 903)*, trad. F. Guizot, Paris: Paleo, 2002.
- *The Annals of Fulda*, vol. 2, trans. T. Reuter, Manchester; New York: Manchester University Press, 1992.
- Ansegisi Capitularium Libri III, in: Capitularia regum Francorum I, *MGH* II: I.
- Appendix ad Hrabanum, in: Epistolae Karolini aevi, III, *MGH*, V.
- Arbeonis episcopi Frisingensis, Vita Haimhrammi episcopi, in: *Scriptores rerum germanicarum*, Hannover, 1920.
- -------, Vita vel passio Haimhrammi et martyris Ratisbonensis, in: *MGH scriptorum rerum merovingicarum*, IV.
- Ardonis, Benedicti abbatis Anianensis, *MGH SS* XV: I.
- Benedicti Capitularia, in: Rerum Germanicarum medii aevi II: II, *MGH*, IV.
- Bernoldi Chronicon, in: Rerum Germanicarum medii aevi V, *MGH* VII.
- Capitulare Aquisgranense 809 ad, in: Capitularia regum Francorum nova series *MGH* I.
- Capitulare Baiwaricum, Capitularia regum Francorum I, *MGH* II: 1.
- Capitulare missiorum aquitanorum 789 ad, *MGH* 1.
- Capitulare missorum geneiale, 802 ad, in: Capitularia Regum Francorum I, *MGH* II: I.
- Capitula cum primis constituta 808 ad, in: Rerum Germanicarum medii aevi I, *MGH* III.
- Capitulare missiorum 808, in: Rerum Germanicarum medii aevi I, *MGH* III..
- Capitulare Noviomagense duplex 808 ad, in: Rerum Germanicarum medii aevi I, *MGH* III..
- Capitulare Aquisgranense, in: Rerum Germanicarum medii aevi I, *MGH* III..
- Capitulare missorum Attiniacense, in: Capitularia regum Francorum II, *MGH* II: II.
- Capitulare Italicum 801, in: Capitularia regum Francorum I, *MGH* II.

- Capitularia Spuria: Benidicti Capitularium additio IV, in: Rerum Germanicarum medii aevi II, *MGH*, IV: II.
- Capitula quae de partibus Saxoniae constituta sunt, in: Rerum Germanicarum medii aevi I, *MGH*, III.
- Capitulatio de Partibus Saxoniae, in: Leges Saxonum et Lex Thuringorum, in: *Fontes Iuris Germanici Antiqui*, ed. Von Schwerin.
- Cassiodorus, Variarum, in: Rerum Germanicarum medii aevi, *MGH*, XII.
- Chilperici Edictum, Capitularia regum Francorum 1, in: *MGH.* II.
- Chronicon Novaliciense, in: Rerum Germanicarum medii aevi VII, *MGH*, IX.
- Concilium Cabilonensis, in: Concilia aevi Karolini, *MGH* III.
- Concilium Ingelheimense, Concilia II, Concilia Aevi Karolini I: II, *MGH* III.
- Concilium Triburiense, in: *Capitularia regum Francorum, MGH* II.
- Dudo of Saint-Quentin, *History of the Normans*, trans. E. Christiansen, Woodbridge: The Boydell Press, 1998.
- Ekkehardi IV. Casus St. Galli, in: Rerum Germanicarum medii II, *MGH*, II.
- -------, Waltharius, in: Poetarum latinorum medii aevi, VI: I, *MGH*.
- Ex Adrevaldi Floriacensis Miraculis Sancti Benedicti, in: *MGHSS*, XV: I.
- Ex Miraculis St. Liutwini, in: *MGHSS*, XV: II.
- Ex Vita Walae, 833 ad, in: Rerum Germanicarum medii aevi II, *MGH*, II.
- Flodoard, *Histoire de l'église de Reims*, trad. M. Lejeune, Reims, 1854, vol. 2.
- -------, *Les Annales de Flodoard*, ed. Ph. Lauer, Paris, 1905.
- Formulae Turonenses, in: Formulae Merowingici et Karolini Aevi, *MGH* 5.
- Gesta Episcoporum Cameracensium, in: Rerum Germanicarum medii aevi VII, *MGH* IX.
- Gregory of Tours, *Glory of the Martyrs*, trans. Raymond Van Dam, Liverpool: Liverpool University Press, 1988.
- Gumpoldi vita Vencezlavi ducis, Rerum Germanicarum medii IV, *MGH* VI.
- Herigero, Translatio St. Landoaldi, 668 ad, in: *MGH SS*, XV: II.
- Herimanni Augiensis Chronicon, *MGH SS*, V.
- Histroriae Farfenses: Constructio, *MGH*, XIII.
- Hludowici I. Capitularia, in: Rerum Germanicarum medii aevi I, *MGH* III.
- Hludowici: Capitulare missorum, Capitularia regum Francorum 1, *MGH* II: I.
- Hludowici et Hlotharii Capitularia, in: Ansegisi Capitularium, *MGH*, III: I.
- Hlotharii I. Capitularia, 832 ad, in: Rerum Germanicarum medii I, *MGH* III.
- Hludowici II. Capitulare Papiense, Capitularia regum Francorum, *MGH* II: I.
- Karoli Magni: Capitulare 779 ad, *MGH* III, I.
- -------, Capitula per Episcopos et Comites, *MGH* 1.
- -------, Capitula quae addita sunt ad legum Langobardorum in: *MGH* III: I.
- -------, Capitulare Francicum et Langobardicum, in: *MGH* III: I.
- -------, Capitulare Aquisgranense 805 ad, *MGH* III: I.
- -------, Capitulare Aquense 806 ad, in: *MGH* III: I.

- -------, Capitulare missorum in Theodonis villa datum. 805, Capitularia regum Francorum I, *MGH* II: 1.
- -------, Capitulare Francicum, *Capitularia regum Francorum I, MGH* I.
- -------, Capitulare Haristallense 779 ad, *MGH* II.
- -------, Capitulare missorum Aquisgranense primus 810 ad, in: Capitularia regum Francorum I, *MGH* II: I.
- -------, Capitulare missorum Aquisgranense secundum, in: Ibid.
- -------, Capitula per Missos Cognita facienda 803- 813 ad, Capitularia regum Francorum I, *MGH* II: I.
- -------, Capitulare de latronibus, in: Rerum Germanicarum medii aevi I, *MGH* III.
- -------, Capitulare Mantuanum, *MGH* III, I.
- Iohannes VIII, Epistolae, in: Epistolae Karolini aevi V, *MGH*, VII.
- Jordanes, *The Gothic History*, trans. C. Mierow, Princeton, 1915.
- Karoli Magni et Pippini filii, Capitulare Mantuanum 781 ad, in: Capitularia regum Francorum I, *MGH* II: 1.
- Karoli II. Capitularia, 853 ad, in: Rerum Germanicarum I, *MGH*, III.
- -------, Capitularia, 873 ad, in: Rerum Germanicarum medii aevi I, *MGH* III.
- -------, Capitulare Carisiacense, 873, Capitularia regum Francorum II, *MGH* II.
- -------,Capitularia Rerum Franciae occidentalis, in: Capitularia regum Francorum II, *MGH* II.
- -------, Conventus Attiniacense, Capitularia regum Francorum I, *MGH* II.
- Leges Burgundionum- Liber Constitutionum, Leges Nationum Germanicarum, II: 1, *MGH* I.
- Leges Langobardorum: Liber Papiensis, in: *MGH* IV.
- -------, Liber Papiensis Ludovici, in: *MGH* IV.
- Leges Langobardorum et communis, in: *MGH* I.
- Leges Saxonum, in: *MGH* V.
- Lex romana raetica curiensis 770 ad, in: *MGH* V: V.
- Liber Papiensis Liutprandi, Leges Langobardorum, in: Rerum Germanicarum medii aevi IV, *MGH* IV.
- Liudprand of Cremona, Antapodosis, in: *Liudprand's Embassy to Constantinople and Other Writings*, trans. F. Wright, London; Vermont, 1993.
- Lucius Apuleius, *The Golden Ass*, trans. W. Adlington Cambridge: Loeb Classical Library, 1971.
- Les miracles de saint Benoît. Miracula sancti Benedicti, Textes édités, traduits et annotés par A. Davril, A. Dufour, et G. Labory, *Sources d'histoire médiévale* 45 (2019).
- Odonis A. Cluniacensis, De Vita S. Geraldi Auriliacensis comitis, *P L*, 133.
- Ottoni I: Liber Papiensis, Leges Langobardorum addito, in: *MGH*, III.
- Passio Desiderii et Reginfridi martyrum Alsegaudiensium, in: *MGH scriptorum rerum merovingicarum*, VI.

- Pippini regis Capitulare, in: Capitularia Regum Francorum I, *MGH* II: 1.
- Pippini Capitulare, Rerum Germanicarum medii aevi I, *MGH* III.
- -------, Concilium Vernense, in: *MGH* II: I.
- -------, Concilium Vernense, in: Rerum Germanicarum medii I, *MGH* III.
- Pippini Capitularia, 802 ad, in: Rerum Germanicarum medii aevi I, *MGH* III.
- Pippini Capitulare Italicum 801- 810 ad, in: Capitularia regum Francorum I, *MGH* II: 1.
- Pippini Italiae regis capitulare, in: *MGH* II.
- Raoul Glaber, *Histoires*, trad. M. Arnoux, Turnout: Brepols, 1996.
- *Recueil des actes des ducs de Normandie de 911 à 1066*, ed. Marie Fauroux, Caen: Société d'impressions Caron, 1961.
- Salvian of Marseilles, *On the Government of God*, trans. E. Sanford, New York, 1930.
- Sigeberti, Chronica, *MGH SS*, VI.
- *Servati Lupi Epistulae*, ed. P. Marshall, Leipzig, 1984.
- Theoderic de Nieheim, Cronica, *MGH (500- 1500 AD)*, Stuttgart, 1980.
- Vita Aviti Aurelianensis, in: *MGH scriptorum rerum merovingicarum*, III.
- Vita Burchardi Episcopi, in: Rerum Germanicarum medii aevi VI, *MGH* VI. and English translation in: https:// sourcebooks. fordham. edu/ source/ 1025 burchard-vita.asp.
- Vita Iohannis Gorziensis, in: Rerum Germanicarum medii aevi IV, *MGH* VI.
- Vita St. Meginrat, ed. O. Holder-Egger, *MGH SS*, 15: 1.
- Vita Wicberti, in: Rerum Germanicarum medii aevi VIII, *MGH*, X.
- Widukind of Corvey, *Deeds of The Saxons*, trans. B. Bachrach and D. Bachrach, Catholic University of America Press, 2014.

ثانيا: المراجع الأجنبية:

- Ballan, Mohammad, "Fraxinetum: An Islamic Frontier State in Tenth Century Provence", *Comitatus: A Journal of Medieval and Renaissance Studies* 41 (2010), pp. 23- 76.
- Blumell, Lincoln, “Beware of Bandits! Banditry and Land Travel in the Roman Empire”, *Journeys. The International Journal of Travel and Travel Writing* 8/1 (2008), pp. 1- 20.
- Bougard, François, *La justice dans le royaume d’Italie de la fin du VIIIe siècle au début du XIe siècle*, Rome: École française de Rome, 1995.
- Bruce, Scott, "An Abbot between two Cultures: Maiolus of Cluny Considers the Muslims of La Garde-Freinet", *Early Medieval Europe* 15/4 (2007), pp. 426- 440.
- Coupland, Simon, *Carolingian Coinage and the Vikings*, Farnham, 2007.
- -------, "The Use of Coin in the Carolingian Empire in the Ninth Century", in: Rory Naismith, Martin Allen, and Elina Screen (eds.), *Early Medieval Monetary History: Studies in Memory of Mark Blackburn*, London: Routledge, 2014, pp. 257- 289.

- Coyle, Danielle, "The Outlaws of Medieval England", *Hohunu: A Journal of Academic Writing* 3 (2005), pp. 57- 59.
- Curott, Nicholas & Fink, Alexander, "Bandit Heroes: Social, Mythical, or Rational?" *The American Journal of Economics and Sociology* 71/2 (April, 2012), pp. 470- 497.
- De Jong, Mayke, "The Empire that was always Decaying: The Carolingians (800- 888)", *medieval worlds* 2 (2015), pp. 6- 25. DOI 10.1553/medievalworlds_no2_2015s6.
- Fichtenau, Heinrich, *Living in the Tenth Century: Mentalities and Social Orders*, Trans. P. Geary, Chicago: University of Chicago Press, 1991.
- Fried, Johannes, *Charlemagne*, trans. P. Lewis, Cambridge, Massachusetts: Harvard University Press, 2016.
- Ganshof, François, The Impact of Charlemagne on the Institutions of the Frankish Realm, *Speculum* 40/1 (Jan., 1965), pp. 47- 62.
- -------, *Frankish Institutions Under Charlemagne*, Rhode Island: Brown University Press, 1968.
- -------, "The Last Period of Charlemagne`s Reign: A Study in Decomposition", in: *The Carolingians and the Frankish Monarchy*, London: Longman, 1971, pp. 240- 250.
- Geary, Patrick, *Furta Sacra: Thefts of Relics in the Central Middle Ages*, Princeton, New Jersey: Princeton University Press, 1978.
- -------, *Living with the Dead in the Middle Ages*, Ithaca and London: Cornell University Press, 1994.
- Godlewski, Piotr; Skalski, Dariusz and Mruczyk, Robert, "The Dangers of Travel– Banditry on the Roads in the Old Days", *Baltic Journal of Health and Physical Activity* 13/ 6 (2021), pp. 195- 214.
- Goalwin, Gregory, "Bandits, Militants, and Martyrs: Sub-state Violence as Claim to Authority in Late Antique North Africa", *The Journal of Historical Sociology* 34/3 (2021), pp. 452- 465.
- Goebel, Julius, *Felony and Misdemeanor: A Study in the History of Criminal Law*, Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 1976.
- Grunewald, Thomas, *Bandits in the Roman Empire: Myth and Reality*, Trans. J. Drinkwater, London; New York: Routledge, 2004.
- Hämäläinen, Pekka & Truett, Samuel, "On Borderlands", *The Journal of American History* 98/2 (Sept. 2011), pp. 338- 361.
- Hasan, Mihai-Florin, "Banditry in the Kingdom of Hungary in the Middle Ages. Case Study: Some Gangs on the “Royal Land” (15 th Century)", *Acta Musei Napocensis: Historica* 53/2 (2016), pp. 23- 31.
- Hobsbawm, Eric, *Bandits*, New York: Dell Publishing Co., 1969.
- Hyde, Walter, The Alps in History, *Proceedings of the American Philosophical Society* 75/6 (1935), pp. 431- 442.
- Krueger, Hilmar, "The Italian Cities and the Arabs before 1095", in: Marshall Baldwin (ed.), *A History of the Crusades, vol. I: The First Hundred Years*,

Gen. ed. K. Setton, Pennsylvania: University of Pennsylvania Press, 1955, pp. 40- 53.
- McKitterick, Rosamond, "Knowledge of Canon Law in the Frankish Kingdoms Before 789: The Manuscript Evidence", *The Journal of Theological Studies* 36/1 (1985), pp. 97- 117.
- -------, *Charlemagne: The Formation of a European Identity*, Cambridge, New York: Cambridge University Press, 2008.
- Meijer, Reinder, *Literature of the Low Countries: A Short History of Dutch Literature in the Netherlands and Belgium*, New York: Twayne, 1971.
- Messina, Baris, "Bandits, Brigands and Militants: The Historical Sociology of Outlaws", *The Journal of Historical Sociology* 34/3 (2021), pp. 402- 405.
- Murray, Alexander, "From Roman to Frankish Gaul: 'Centenarii' and 'Centenae' in the Administration of the Merovingian Kingdom", *Traditio* 44 (1988), pp. 59- 100.
- -------, "Immunity, Nobility, and the Edict of Paris", *Speculum* 69/1 (1994), pp. 18- 39.
- Nelson, Janet, One Hincmar of Reims on King-making: The Evidence of the Annals of St. Bertin, 861- 882, in: János Bak (ed.), *Coronations: Medieval and Early Modern Monarchic Ritual*, Berkeley; Los Angeles and Oxford: University of California Press, 1990, pp. 16- 34.
- O'Donnell, James, *Cassiodorus*, Berkeley: University of California Press, 1979.
- Pahlavan, Farzaneh, *Les conduites agressives*, Paris: Armand Colin, 2002.
- Poly, Jean-Pierre, *La Provence et la société féodale: 879- 1166, contribution à l'étude des structures dites féodales dans le Midi*, Paris: Bordas, 1972.
- Reuter, Timothy, "The Insecurity of Travel in the Early and High Middle Ages: Criminals, Victims and their Medieval and Modern Observers", in: *Medieval Polities and Modern Mentalities*, Cambridge; New York: Cambridge University Press, 2006.
- Riché, Pierre, *Daily Life in the World of Charlemagne*, Pennsylvania: University of Pennsylvania Press, 1978.
- Rollason, David, *Early Medieval Europe 300-1050: The Birth of Western Society*, Oxford; New York: Routledge, 2014.
- Rosé, Isabelle, "Tenth-Century Cluny", in: Scott Bruce and Steven Vanderputten (eds.), *A Companion to the Abbey of Cluny in the Middle Ages*, Leiden; Boston: Brill, 2022, pp. 11- 33.
- Searle, Eleanor, *Predatory Kinship and the Creation of Norman Power, 840-1066*, Berkeley: University of California Press, 1988.
- Shaw, Brent, *Sacred Violence: African Christians and Sectarian Hatred in the Age of Augustine*, Cambridge, New York: Cambridge University Press, 2011.
- Slatta, Richard, "Bandits and Rural Social History: A Comment on Joseph", *Latin American Research Review* 26/1 (1991), pp. 145- 151.

- Smith, Julia, *Europe after Rome: A New Cultural History (500- 1000)*, Oxford: Oxford University Press, 2006.
- Suchman, Mark, "Managing Legitimacy: Strategic and Institutional Approaches", *The Academy of Management Review* 20/3 (Jul., 1995), pp. 571-610.
- Wallace-Hadrill, John, *The Long-Haired kings, and Other Studies in Frankish History*, New York, 1962.
- Webb, Diana, *Pilgrims and Pilgrimage in the Medieval West*, London and New York: I.B. Tauris, 2001.

ثالثًا: المراجع العربية:

- أبو سعدة، الأمين، "التوظيف السياسي لرفات القديسين ومتعلقاتهم المقدسة في أوربا العصور الوسطى"، *مجلة كلية الآداب- جامعة المنصورة* 35 (2004)، ص 403- 476.
- أوزي، أحمد، سيكيولوجية العنف، الرباط: إصدار مجلة علوم التربية، 2014.
- عبود، أنسام، "إمارة جبل القلال أو دولة فراكسنتيوم Fraxintum (277- 365هـ/890- 975م)"، *مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية* 2/43 (2018)، ص 116- 145.
- علي، وفاء غزالي، "تاريخ المسلمين في فراكسنتيوم (277- 365هـ/890- 975م)"، *مجلة المؤرخ العربي* 19 (2011)، ص 323- 356.
- فرويد، سيجموند، وآخرون، سيكولوجية العدوان، ترجمة: عبد الكريم ناصيف، عمان- الأردن: دار منارات للنشر، 1986.
- كانتور، نورمان، العصور الوسطى الباكرة، ترجمة: قاسم عبده قاسم، القاهرة: دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1993.
- المحلاوي، حسام، "إمارة القلال الإسلامية جنوب بلاد الغال "قاعدة فراكسينت" (277- 365هـ /890- 975م)"، *مجلة كلية الآداب- بنها* 36 (2014)، ص 216- 241.
- محمد، محمد دسوقي، "الفرق المأجورة في جنوب فرنسا (1360- 1370م)"، *مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المصرية* 1/11 (2021)، ص 267- 317.